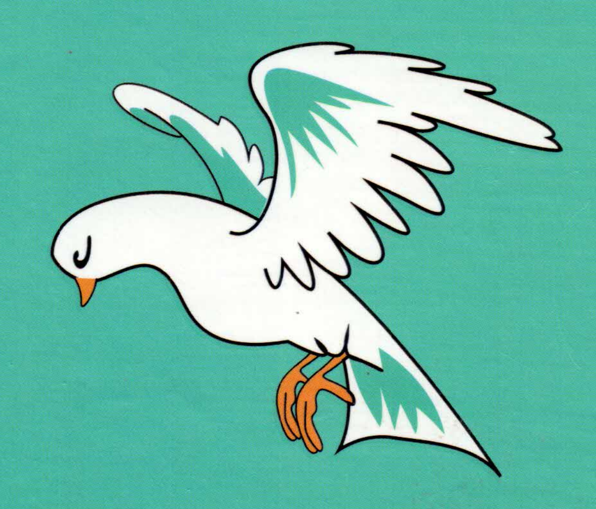
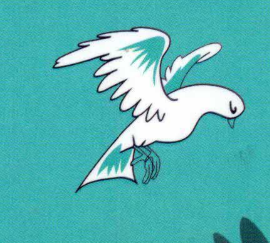
قصص الأنبياء

المجلد الأول



بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . عبد الشافى السيد
إشراف : أ . حمدى مصطفى




العربيـة الحديثـة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية



قصص الأنبياء

المجلد الأول





مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ..

مرحبًا بكم مع سيرة الأنبياء عليهم السلام ..

فالأنبياء عليهم السلام هم مصابيح الهدى ، وهم الأسوة والقدوة ، أرسلهم الله تعالى لإنقاذ البشرية ، وتحملوا الأذى فى سبيل دعوتهم لله عز وجل .. بذلوا الجهد وصبروا ليواصلوا الرسالة كما أمرهم الله تعالى .

ولأهمية قصص الأنبياء يقول الله ـ عز وجل :

﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ . [يوسف الآية ٣]

ويقول ـ تعالى :

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ . [الأعراف الآية ١٦٧]

هذه الآيات تشير إلى أهمية القصص ، وكيف أنها منهج قرآنى ربانى أصيل ، لتثبيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من بعده ؛ لعلهم يتفكرون ويتأملون ، ويعتبرون من هذه القصص ..

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ . [يوسف الآية ١١١]



قصص الأنبيـاء

آدم عليه السلام



خلق آدم وحواء

آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أوَّلُ الْبَشَرِ .. وَهُوَ أبُو الْبَشَرِ ..

هُوَ أوَّلُ الأنْبِيَاء .. وَهُوَ أبُو الأنْبِيَاء .. وهُوَ أوَّلُ مَنْ قصَّ اللهُ تَعالَى عَلَيْنا قَصَصَهُمْ فِى الْقُرْآن الْكَرِيم ؛ لأنَّهُ أوَّلُ إنْسَانٍ خَلَقَهُ الله ..

ولَكِنْ مَا قِصَّةُ خَلْقِ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟

لَمَّا أرَادَ الله تَعَالَى خَلْقَ آدَم ، قَالَ لِمَلائِكَتِه :

﴿ إنِّى جَاعِلٌ فِى الأرْضِ خَلِيفَةً ﴾

فَأَجَاب الْمَلائكةُ رَبَّهُم بِقَوْلِهِمْ :

﴿ أتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ..

أىْ هَلْ تَخْلُقُ مَنْ يُفْسِدُ فِى الأرْضِ ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ؟!

وَكَانَ المَلَائِكَةُ يَعْلَمُون أنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَسْكُنُون الأرْض مِنْ قَبْلُ ، وَكَانُوا يَعْصُون الله تَعَالَى ، فَيُفْسِدُون فِى الأرْضِ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِى ، وَقَتْل بَعْضِهم بَعْضًا ..

بَيْنما هُمُ المَلائكَةُ يُسَبِّحُون الله تَعَالَى ، وَيُقَدِّسُونه ، وَلا يَعْصُونَ الله ما يَأمُرُهُمْ بِه .. وَلِذَلكَ فَقَدْ كَانُوا يَأمُلُون أنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ الَّذِى يَخْتَارُهُ اللهُ لِعِمَارَةِ الأرْضِ مِن المَلائِكَةِ ..

وَرَدَّ الْمَوْلَى سُبْحَانه عَلَى مَلائكته بِقَوْلِه :

﴿ إنِّى أعْلَمُ مَالا تَعْلَمُون ﴾ ..

أخْبَرَ الله تَعَالَى مَلائكته أنَّ طَبِيعَتَهم كَمَلائكةٍ لَيْست مُهَيَّأةً لِحَمْلِ الْخِلافَةِ فِى الأرْضِ ..

أصْدَرَ الله تَعَالَى أمْرَهُ إلَى مَلائكته ، بِأنَّهُ سَوْف يَخْلُق بَشَرًا مِنْ طِينٍ .. وَأمَرَهُمْ بِالسُّجود لِهذا البشر ، ليس سجود عِبَادَة ، وَإنَّمَا سُجُود تَكْرِيمٍ وتَعْظِيمٍ ، لأنَّ سُجُودَ العِبَادَةِ لا يكون إلا لله تَعَالَى ..



جَمعَ الله تعالَى قَبْضَةً مِنْ تُرابِ الأَرْضِ .. قَبْضَةً فِيها اللّوْنُ الأَسْوَدُ واللّوْنُ الأَبْيَضُ واللّوْنُ الأَحمرُ واللّوْنُ الأَصفرُ .. وَلِهَذا يَتَنوّعُ الناسُ عَلَى الأَرْضِ فِي أَلْوَانِهم ..

ثُمَّ مزج المَوْلَى تعالَى التُّرابَ بِالماءِ ، فَصارَ صَلْصالاً مِنْ حمإٍ مَسْنُون ، تَعفّنَ الطِّينُ ، وانْبَعثتْ منْهُ رَائحةُ طِين الأَرْضِ .. فَسوّاهُ المَوْلَى سُبْحانه وَتعالَى على شكل بشر .. ثُمّ نَفخَ فِيه مِن رُوحِه ، فدَبّتِ الْحياةُ فِي جَسد آدمَ عليه السلام وتَحرّكَ .. وَرأى المَلائِكةُ ذلِك ، فَنَفّذُوا أَمْرَ رَبِّهم .. سَجَدَ الملائكةُ جَمِيعًا لآدَمَ .. إلا وَاحدًا رَفضَ السُّجُودَ ..

وَكَانَ الّذى عَصَى أَمْرَ رَبِّه ، وَرَفضَ السُّجُودَ لآدَمَ ، هُو إبْلِيسُ .. وَلَمْ يَكُنْ إبْلِيسُ مِنَ الْمَلائكَةِ ، لَكِنَّه كَانَ مِنَ الْجِن ، وَكَانَ يقفُ مَعَ الْمَلائكةِ ، ورفَضَ السُّجُودَ لآدَمَ ، اسْتِكبارًا وَاسْتِعلاءً .. لماذا ؟! لأَنّهُ قَدْ خُلِقَ مِنْ نَارٍ ، بَيْنما آدمُ عليه السلام خَلقهُ الله منْ طينٍ .. تصوَّر إبليسُ اللّعينُ ، أَنّهُ أَفْضلُ مِنْ آدمَ ، لأَنه ظَنَّ أنَّ النّار أفْضَل مِن الطِّين ..

سَأَلَ المَوْلَى تعالَى إبْليس بِقَولِهِ :

﴿ يا إبْليسُ ما مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لِمَا خلَقتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ ﴾ ..

فَرَدَّ عليْه إبْليس بقَوْله :

﴿ أنَا خَيْرٌ منْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلقْتَهُ مِنْ طِين ﴾ ..

وَردَّ الْمَوْلَى سُبْحانه وَتعالَى عَلَى إبْليس بِأَنْ لَعَنَهُ ، وَطَردَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ إلى يَوْمِ الدين ..

رَأى آدمُ عليه السلام عِصْيَانَ إبْليس اللّعين لِرَبِّه ، وَرَفْضه تَنْفِيذَ أَمْره .. وَسَمعَ إبْليس وَهُوَ يُجاهِر بالْعَدَاوَةِ لآدَمَ وَذُريته وَأَحْفَاده ، وَقدْ أَقْسَمَ إبْليس اللَّعينُ عَلَى ذَلك بِعِزة الله .. أَقْسَمَ إنّهُ سَوْفَ يُغْوِى آدمَ وَذُريته مِنْ بَعْدِه ، وَيُزيِّنُ لهم فِعْل الْمَعاصِى وَالْمُنْكَرَاتِ ، إلا الصَّالِحين مِنْهم .. وَطَلَبَ مِنْ الله أَنْ يُعْطِيَهُ مُهْلَةً إِلَى يوم الْقِيَامةِ ..



أَخْرَجَ اللهُ إِبْلِيسَ مِن رَحْمته ، وَطَرَدَهُ مِن جَنَّته ، وَأَنْظَرَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَة .. وَعَرَفَ آدَمُ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولى أَنَّ إِبْلِيسَ هُوَ عَدوُّه اللدود ..

عَلَّمَ اللهُ تَعَالى آدم أَسْماء الأَشْيَاء وَالْمَخلُوقاتِ كُلها فِى الْكَوْنِ .. عَلَّمه أَنَّ هَذا كَوْكَبٌ .. وَهَذَا نَجْمٌ .. وَهذِهِ أَرْضٌ .. وَهَذا طَيْرٌ .. وَهَذِهِ شَجرةٌ .. إلخ . تعلَّمَ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأَسْمَاء كُلَّهَا ..

ثُمَّ عَرَضَ اللهُ تعَالى هَذِه الأَشْيَاء عَلَى الملائِكَة ، وَطَلَبَ مِنهُمْ أَنْ يُخبِرُوه بِأَسْمائها ، إنْ كَانُوا صَادِقِين .. فَمَاذَا كَانَ رَدُّ الْمَلائِكَةِ عَلَى المولَى عَزّ وَجَل ؟!

اعْترفَ الْمَلائكَةُ بِعَجْزِهِمْ عَنْ مَعْرفَةِ أَسْماء هَذِه الأَشْياء .. قالوا :

﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .. رَدَّ المَلائكةُ الْعِلْمَ إلى اللهِ وَحْده ..

وَخاطَبَ اللهُ تعالى عَبْده آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائلاً :

﴿ يا آدمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهمْ ﴾

وَتكلَّم آدمُ ، فَأَخذَ يُخبِرُ الملائكةَ بأَسْماء الأَشْياءِ التى عَجِزُوا عَنْ مَعْرفتها ..

فَقَالَ الْمَوْلَى مُخاطِبًا مَلائكَته :

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماوَات وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

أَخبَرَ اللهُ تَعَالَى مَلائكَتَهُ ، بأَنَّهُ قَد عَلِمَ ما أَبْدوْهُ مِنَ التَّعجُّب والدَّهْشَة ، حِين أَخْبرَهُم بأَنَّهُ سَوْفَ يَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ طِين ، لِيَكُونَ خليفةً له فِى الأَرْضِ وأَنَّه كَانَ يَعْلمُ مَا يَخْفِيه إبْليسُ مِنَ الْمَعْصِيَة وَالتكبُّر ، وَرَفْضِ السجُود لآدَمَ .

حِينئذٍ عَلِمَ المَلائكَةُ فَضْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسِرَّ اسْتخْلاف اللهِ تعالَى له ، وَلِذُرِّيته فِى الأَرْضِ ، وَذَلك بالْعِلمِ وَالْمَعْرفة ، اللَّذَيْنِ اختصَّهُ اللهُ وَذُرِيَّته بهما ..



وأنْعَمَ اللهُ تعالَى على آدمَ ، فَخلَقَ لَهُ مِن ضِلْعِه امرأة ، لتؤنسَ وَحْدَته .. وَكانتْ هَذِه المرْأةُ الّتى خَلقَها اللهُ مِنْ ضلْع آدم عليه السلام هى زَوْجَتهُ حوّاء .. نامَ آدمُ ، وعِنْدما اسْتَيْقظ وَجَد حوّاء بِجوارِه ..

وأكْرَمَ اللهُ تعالَى آدَمَ وَحوّاءَ ، بأنْ أسْكَنهُما الْجَنّةَ .. وأمَرهما أنْ يأْكُلا مِن خيْراتِها وَثِمارِها ، حَيثُ شاءَا ..

وَحَذّرَهُما أنْ يَقْرَبا مِنْ شَجرةٍ بِعَينِها فِى الْجَنّة ، حَتّى لا يكُونا مِنَ الظالِمين .. نَهاهُما أنْ يَقْرَبا مِنْ هَذِه الشّجَرَةِ أَوْ يَقْطِفا ثِمارَها ، حَتّى لا يَظْلِما نَفْسَيْهما بِعِصْيانِ أوَامِر اللهِ وَنواهيه ..

كَمَا حَذّرَهُما مِن عَدُوهما إبْليس اللّعِين ، الّذِى لَنْ يَتْرُكَهما فِى حَالِهما ، بَلْ سَيُحاوِلُ إغْوَاءهما لِعِصيان الله .. وَعاشَ آدمُ وَزَوْجَتُه ينْعَمان بِخيْراتِ الْجَنّة ..

لكنّ إبْليس اللّعِين ، كَانَ لَهما بالْمرْصَاد ، وَكانَ يَغِيظُه وَيُضايِقُه أنْ يَنْعَمَ آدمُ وَحوّاء بالْخُلود ، وَالْعَيْشِ الرّغِيدِ فِى الْجنة ، بَيْنما هُوَ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمةِ اللهِ وَجَنّته ، وَمكْتُوب عَلَيْه الْخُلود فِى النّار ..

ونَسى آدمَ عليه السلام تَحْذِيرَ اللهِ لَهُ مِنْ عَدُوّه الأزَلِيّ إبْليس .. وَرَاحَ إبْليسُ يَتقرّبُ إلى آدَمَ وَيُوسْوِسُ لَهُ ، مُتَصَنّعًا دورَ النّاصِح الأمِين لَهُما ..

وَبَدَأ آدمُ وَحوّاءُ يُنْصِتَان إلى وَسْوَسَاتِ إبْليسَ اللعينِ ، وَيسْتمعَان إلى حَدِيثِه ، نَاسِينَ أنّه عَدُوهُما اللّدُودُ ، وَذَات مرّة اقْتَرب إبْليسُ مِنْ آدم وَحوّاء وَقالَ لَهُما :

ـ هَلْ أَدُلّكُما عَلَى شَجرةِ الْخُلد .. الشّجَرةِ التى سَتُخَلّدان بسَبَبِها فِى الْجَنّة ؟!

فَقالَ لَهُ آدم :

ـ نعَمْ ..

فَقالَ إبْليسُ :






ـ إِنَّها الشَّجَرَةُ الّتى نَهاكما رَبُّكما عن الاقْتراب مِنها ، أو الأَكْلِ مِنْ ثِمارِها .. إنَّ الله لَمْ يَنْهكُما عَن الأكل مِنْ هَذِه الشَّجَرَةِ إلا أنْ تكونا مَلَكَيْن أوْ تكُونا مِنَ الْخالِدينَ ..

فِى الْبِدايةِ لَمْ يَشأْ آدمُ عصْيانَ رَبِّه ، لكنَّ إبْليسَ ظَلَّ يُزينُ لَهُ وَلِزوجتِهِ الأَكْلَ مِنْ ثِمارِ تلك الشَّجَرةِ ..

وَلَمْ ييْئَسْ إِبْليسُ مِن إغْراءِ آدم وَحَوَّاء بالأَكلِ مِنْ تِلك الشَّجَرة ، ذَاكِرًا لَهُما أنَّهُ يُريدُ مَصْلَحَتَهما ، وَأنَّهُ ناصِحٌ أمِينٌ لهما ..

واسْتَجاب آدَمُ وَزَوْجَتُه لِوَسْوَسةِ إبْليس ، فَاقْتَرَبَا مِنَ الشَّجرة ، وَأَكلا مِنْ ثِمارِها .. وَهُنا ظَهرتْ لآدَمَ وَزَوْجَته سَوْءَاتهما ، فَراحَا يَقْطفان مِنْ وَرقِ الشَّجرِ ، لِيُوارِيا ما ظَهرَ مِنْ سَوْءَاتهِما ، وَهُما يَشْعُرانِ بِالْخجلِ مِن عُرْى جَسدَيْهِما ..

وَنادَى رَبُّ الْعِزّةِ آدم وَزَوْجته بِقَوْلِه تعالَى :

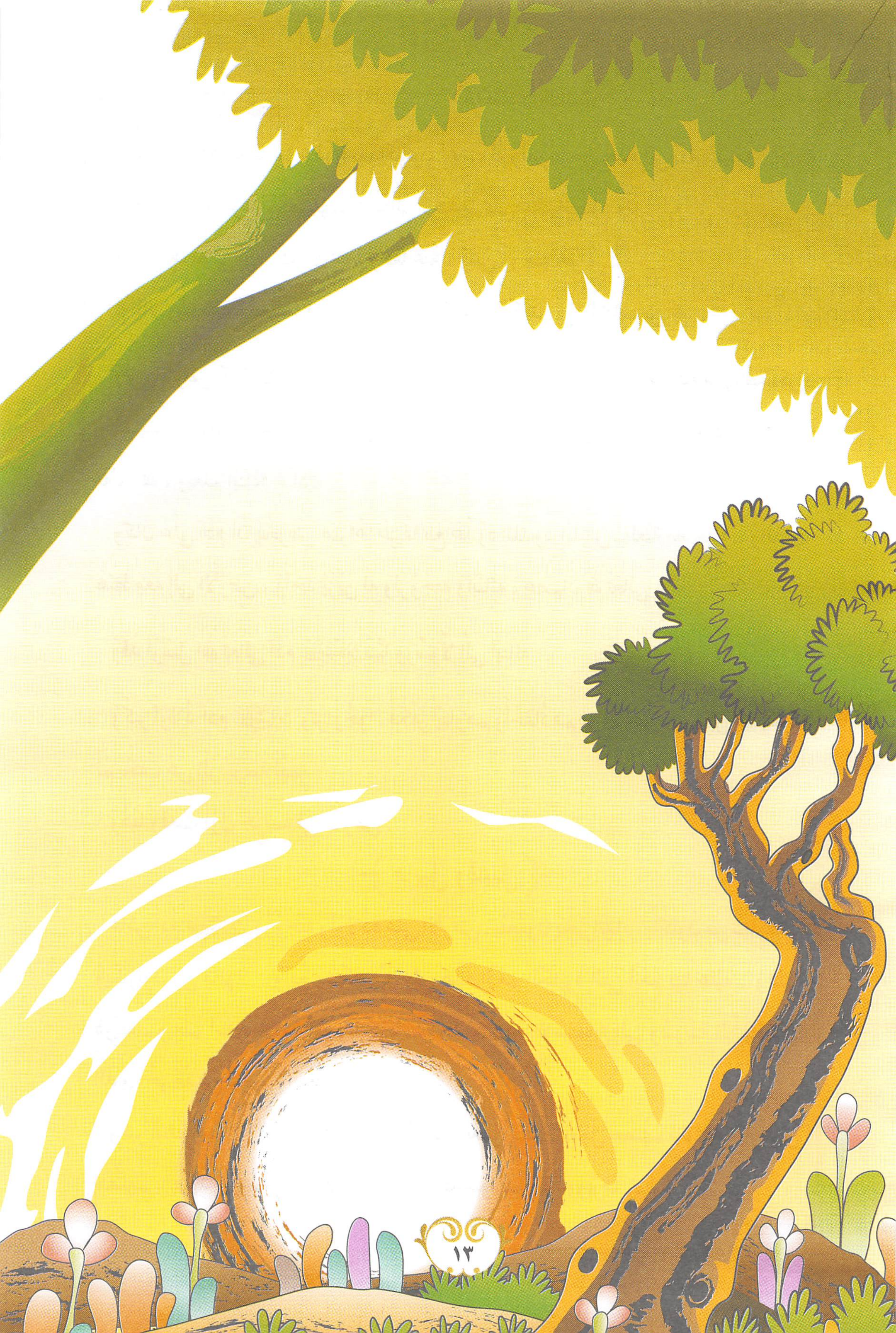
﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُما الشّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِين ﴾ ..

أَحسَّ آدمُ وَزَوْجَتُه بِعِصْيانِهما لله رَبِّ العالَمِين .. وَأَمَرَهُما اللهُ تعالَى أنْ يُغادِرا الْجَنَّة .. أنْ يهبِطَا مِنْها إِلى الأَرْضِ ..

خَرجَ آدمُ وَحَوّاءُ مِنَ الْجنَّة ، حَزينين مَطْرُودَيْن، جزاءَ عِصْيانِهما لله تعالَى ..

أَخْبرَهُما اللهُ تَعالَى أنَّ الأَرْضَ هِى مَكانُهما الأصْلىُّ الّذى خُلِقا مِنْ أَجْلِ عِمارَتهِ .. وَأَنّها المكانُ الذى سَيَعيشانِ فِيه ، وَيَمُوتانِ فيه هُما وَذُرِّيّتُهما .. وَهِى أَيْضًا المَكانُ الَّذى سيُبْعَثان مِنهُ يومَ القِيامَةِ ، هُمَا وَذُرِّيَّتُهما ..



وَأَفْهم اللهُ آدم أَنّ إِبْليس وَذُرِّيَته سَيكُونُون أَعْداءً لَهُ وَلِذُرِّيته مِن بَعْدِه إِلى يَوم الْقِيامَة ..

وَأَحس آدمُ وَحوَّاء بِمَعْصِيتهما للهِ تعالَى ، فَندِمَا عَلَى عِصْيَانهما ، وَتَابا إِلَيْه ..

وَتَقَبّل اللهُ تعالَى تَوْبَةَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعفا عَنْهُ ، وَعَنْ زَوْجَتِه حَوَّاء ..

﴿ قالاَ رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين ﴾ ..

وَفِى الأَرْضِ كَانَ لاَ بُدَّ أَنْ يَعْمَل آدمُ لِيُوَفر لِنَفْسهِ وَلِزوجَتِهِ وَأَبْنائه الطَّعَامَ وَالْمَسْكن وَالْمَلْبَس .. كَانَ عَلْيهِ أَنْ يَزْرَعَ الأَرْضَ وَيَحْمى نَفْسهُ وَأَبْناءَه مِنَ الْوُحُوش .. وَكانَ عَلَيْه أَنْ يَعْبُدَ الله ، وَيُعلم أَبْنَاءَه عِبادَته ..

وَكَانَ عَلَى آدَمَ أَنْ يَخُوضَ صِرَاعًا عَنِيفًا مَعَ عَدُوِّه اللَّدُود إِبْليس ـ لَعْنَةُ الله عَلَيْه ـ وَالَّذى هَبَط مَعَهُ إِلى الأَرْضِ ، وَأَخَذ يُزَيِّنُ له وَلِزَوْجَتِهِ وَأَبْنائِه ، عِصْيانَ للهِ تعالَى ..

وَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تعالَى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًّا وَرَسُولًا إِلى أَبْنائه ..

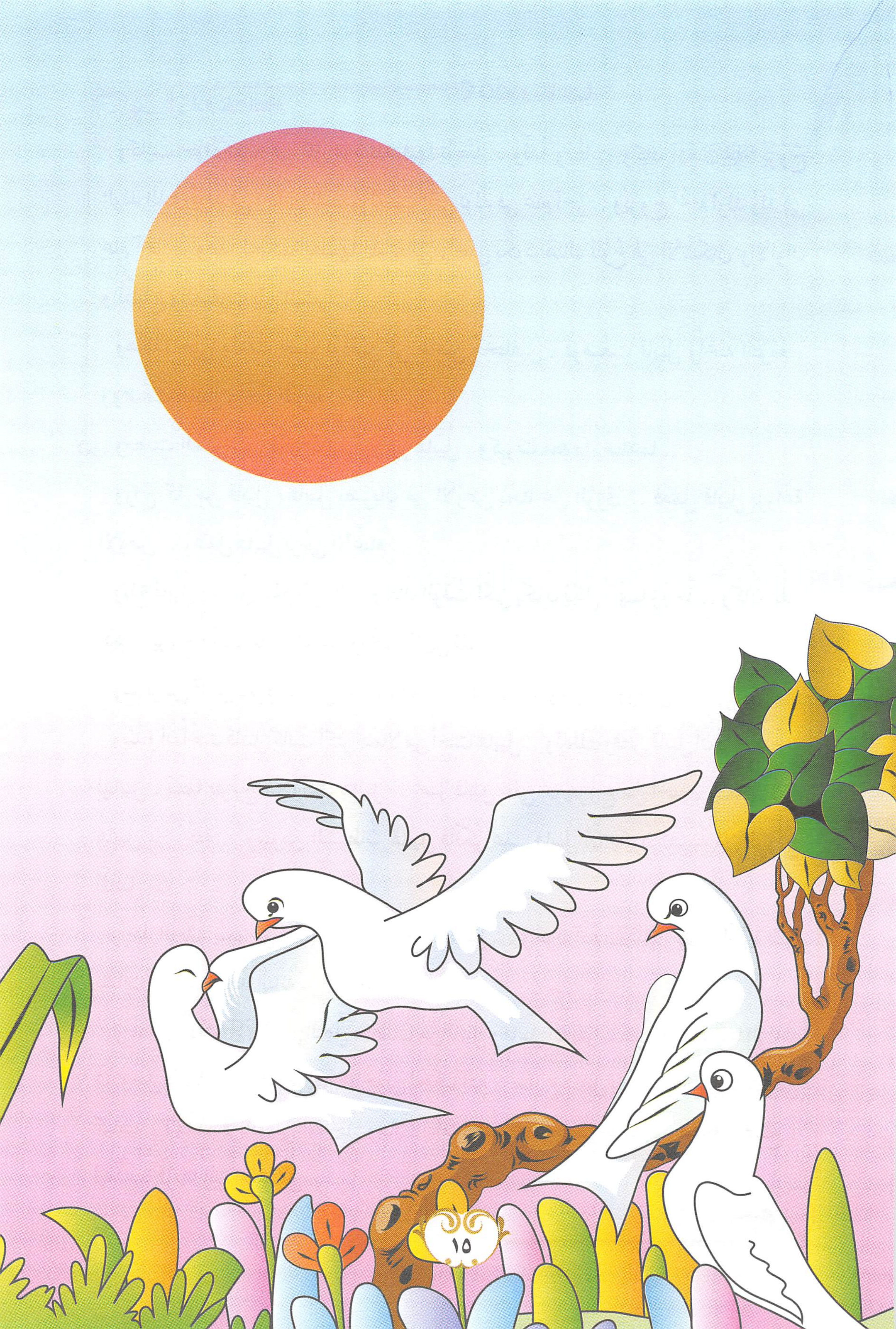
وَكَبر أَوْلادُ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتزاوجُوا ، فَكَثُرَ أَبْناؤهم وَأَحْفادُهم فِى الأَرْضِ .. وَلكِنَّ الشَّيطَانَ لَمْ يَكُفّ عَنِ الْوَسْوَسَةِ لَهُم ..

وَهُنا وَقَعَتْ أَوّلُ جَرِيمة فِى الأَرْضِ ..

﴿ هابيل وقابيل ﴾

عاشَ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وزَوْجَته وأَوْلادُه على الأَرْضِ ، ينْعَمُون بخيْراتها .. يأْكُلونَ مِن ثمارِها ، وَيشربُون مِن مائها .. وآدمُ يَشْكُرُ ربَّهُ على هذه النِّعم الكثيرةِ التى أنْعَمَ بها عليْهِ ، وعلى ذُريَّته ، ويُعَلِّم أبْناءَهُ عبادةَ الله وشُكْرَهُ ، ويُحَذِّرُهم من الاسْتماع إلى وسْوَسَة الشَّيْطان ، الَّذى أخْرجهُ مِنْ قبلُ من الجنَّة ..

وكَبر أبْناءُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وانْتَشرُوا فى الأرْض ، يَعْمُرُونها .. فعمل بعضُهم بالزراعةِ ، وعمِلَ بعضُهمْ بالصَّيْدِ ، وعَملَ آخرون بالرَّعْي ، فاسْتأنَسُوا الماشِيَة وربَّوْها ..



وكانت حوّاءُ تضعُ فى كل مرةٍ تَلِدُ فيها توْءمًا .. ولَداً وبنتًا .. وكان آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُزَوّجُ الولَدَ الذى يُولَدُ فى إحْدَى السنينَ لِلبنْتِ الَّتى تُولَدُ فى عامٍ آخرَ .. ويُزوجُ أُخْته لِولَدٍ وُلِدَ فى عامٍ آخرَ .. وهذا لِحكْمَة يعلمُها اللهُ تعالى ، حتَّى يكُونَ هُناك تَنوُّعٌ فى الأشْكال والألْوان والطِّباعِ والصِّفات بيْنَ الْبَشَر ..

وهكذا حتَّى ولَدَتْ حوَّاءُ توْءَمَيْنِ فى عامَيْن مُخْتلفَيْن ، فوضعَتَ قابيل وأُخْته التَّوْءَمَ ، ووضعَتَ هابيلَ وأُخْته التَّوْءَمَ ..

ومضتِ السَّنواتُ ، فكَبِرَ قابيلُ ، وكَبِر هابيلُ ، وكَبِرتْ معهما أُخْتاهُما ..

وراحَ كُلٌّ مِنْ قابيلَ وهابيلَ يضربانِ فى الأرْض بحْثًا عنَ الرِّزْق .. فعملِ قابيلُ بزراعةِ الأرْض .. وعَمل هابيلُ برعْى الأغْنامِ ..

وبلغَ قابيلُ وهابيلُ مَبْلغَ الرجالِ ، وحانَ الْوَقْتُ لكَىْ يكونَ لِكُلٍّ منهُما زوْجَةٌ .. وكان على آدمَ أنْ يُزوِّجَ أُختَ هابيلَ لِقابيلَ وأُخْتَ قابيلَ لِهابيلَ ..

ولَمْ يَرْض قابيلُ بالزَّوْجةِ التى قسَمَها اللهُ له ، ولذلك ثار وغَضِبَ ورفَضَ ..

ويَبْدُو أنَّ أُخت قابيلَ كانتْ أكْثر جمالًا من أُختِ هابيلَ .. ولذلك رفض قابيلُ أنْ يُزوجَ أُخْته لِهابيل ، بَيْنما يتزوَّجُ هو أُخْتَ هابيلَ .. أصرَّ قابيلُ عَلَى أنْ يتزوَّج منْ أُخْتِه ، بَيْنما يتزوَّج هابيلُ مِن أُخْته .. وَسْوَسَ الشَّيْطانُ لِقابيلَ فأنْكرَ على هابيلَ أنْ يكونَ نَصيبهُ فى الزواج أفْضَلَ منْه ..

وأخذ الحقْدُ ينْمو فى قلب قابيلَ على أخِيه هابيلَ .. وحزِنَ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذه الْغيْرة التى نشأَتْ فى قلْبِ أحدِ أبْنائه مِن ابْنِه الآخر..

واهْتدى آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الْحلِّ .. طلبَ منْ قابيلَ وهابيلَ أنْ يُقرِّب كُلُّ واحدٍ منهُما إلى الله عزَّ وجلَّ قُرْبانًا .. وامْتثَلَ كُلٌّ مِنَ الأخويْن لِحُكْمِ آدمَ .. سارعَ هابيلُ بإحْضارِ أَسْمَنِ كَبْشٍ فى كِباشِه ، لِيُقدِّمَهُ قُرْبانًا إلى الله جلَّ وعَلا .. أما قابيلُ فقدْ أحْضَرَ حُزْمَةً منْ سنابلِ القمح ؛ ليقدِّمَها قُرْبانًا إلى الله تعالَى ..



صَعِدَ كُلٌّ مِنَ الأخوَيْن فوقَ قمَّةِ جبلٍ مُرْتفع ، وتَرَكَ قُرْبانًا أعْلى الجبَل ، ثمَّ نزَلا إلى سَفْحِ الجبَلِ وجلسا يَنْتظِران مَنْ يَتَقبَّل اللهُ قربانَهُ منهما .. وبعدَ قليل شاهَدَ الأخَوانِ نارًا تَهْبطُ من السَّماءِ ..

اقترَبَت النَّارُ منْ كبشِ هابيلَ والتَهمَتْهُ فى لحظاتٍ ، ثمَّ اختفتْ دونَ أنْ تمَسَّ قُربانَ قابيل..

وكان ذلك دليلًا على أنَّ اللهَ تعالى قد تقبَّل مِنْ هابيلَ قُرْبانَهُ ، ولم يتقبَّلْ مِنْ قابيل ..

كانَ هابيلُ مُؤْمنًا صادِقَ النِّيَّة ، نَزَل على حُكْمِ أَبِيهِ ، وقدَّمَ للهِ أفضَلَ وأَسْمَنَ كِباشِه ، فتقبَّل اللهُ مِنه ..

وكان على قابيلَ أنْ يَرْضَى بحُكْم الله له ، ويَرْضَى بالزَّوْجةِ التى قسَمَها اللهُ له ، لَكنَّهُ رفضَ أن ينزِلَ على حُكْمِ الله ..

انبعثَ الشَّرُّ فى نفسِ قابيلَ ، فأخذَ يُهَدِّدُ أخاهُ ويتوَعَّدُهُ بالقَتْل .. قال له :

ـ سأقْتُلكَ ياهابيلُ .. سأقْتُلك ..

وكان رَدُّ هابيلَ عليْه هادِئًا ولَطِيفًا .. لَمْ يَهدِّدْهُ أويتوَعَّدْهُ ..

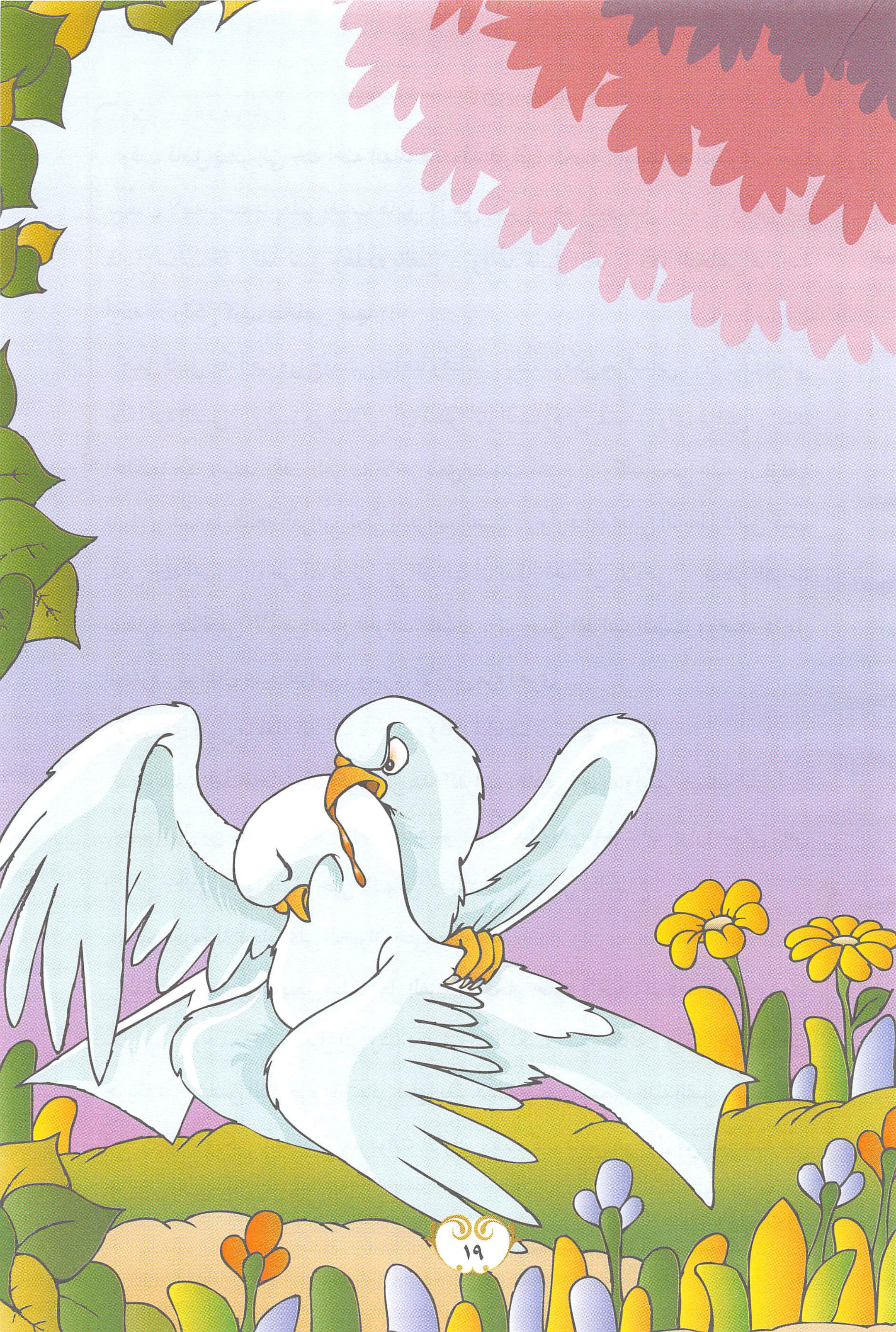
قال هابيلُ لقابيلَ :

ـ لَئِنْ مَدَدْتَ إلَيَّ يدك لتَقْتُلَنى ، فلَنْ أمُدَّ إليكَ يدِى لأقْتُلَك .. إنى أخافُ اللهَ رَبَّ العَالمين ..

لَمْ يفكرْ هابيلُ فى مقابَلَة الشَّرِّ بالشَّرِّ ، لأنَّه كان مؤمنًا صادقَ الإيمان بالله ، وربما نصحَ أخاهُ أنْ يسْتَغْفِرَ اللهَ من ذنبِه ، وأنْ يرْضَى بما قسَمَه اللهُ له .. ولكنَّ قابيلَ لم تَهْدأْ نفْسُه ، ولَمْ يَصْرِفْ ذهْنَه عنْ فِكْرة قتْل أخِيه ..

ظَلَّ الشَّيْطانُ يُوَسْوِسُ لقابيلَ ، لَيْل نَهارَ ، ويُزَيِّنُ له فكرة قتل أخيه .. ووَقعَتْ أوَّلُ جريمَة قتلٍ على الأرْض .. قَتَلَ قابيلُ أخاهُ هابيلَ مَعَ سبْقِ الإصْرار والتَّرَصُّدِ ..

كان هابيلُ نائمًا قريبًا من غَنَمِه التى ترْعَى ، ورآهُ قابيلُ ، فحَمَلَ حَجَرًا ، وانهالَ به على رأْسِه ، فهَشَّمَهُ ..



وقف قابيلُ يَنْظرُ إلى جُثّة أخيه الهَامِدَةِ ، وقدْ فارقَتْها الحياةُ ..وتملَّكَتْه الْحَيْرَةُ .. ماذا سيَقُولُ لأبيه ، عِنْدما يعلَمُ بغِياب هابيل ؟! هل يُنْكر أنّه هو الذى قَتَلَ أخاه ؟! ولكنَّ جُثّة هابيلَ ستفْضَحُه ؛ فقدْ سبق وهَدَّدَهُ بالقتْل .. ووجدَ قابيلُ الْحَلَّ ، وهوَ التخلصُ منْ جثّةِ أخِيهِ .. ولكنْ كيْفَ يتخَلَّصُ منْها ؟!

حملَ قابيلُ جُثّة أخيه وراح يَمْشى بها هُنا وهُناك .. لكنَّهُ لَمْ يكُنْ يعرِفُ أيْن ، ولا كَيْفَ يُخْفى جُثّة أخيه القتيلِ .. وبَيْنَما هو سائِرٌ ، رأَى مَنْظَرًا أثارَ التّشاؤُمَ فى نفْسه .. رأى غُرابَيْن .. كان أحدُهُما مَيِّتًا ، بيْنما وقفَ الغُرابُ الآخرُ ينْعَقُ بصَوتٍ مُفْزِعٍ .. وكأنَّهُ يبْكى عليْه .. فوقف قابيلُ يُراقبُ ما يصنْعُهُ الغُرابُ الحَىُّ بالغرَاب الميتِ .. وأراد اللهُ تعالى أنْ يعلّمَ قابيلَ كيْفَ يدْفِن جثّة أخِيه .. أوْحَى الله تعالَى إلى الغُراب أنْ يَدْفِنَ أخاهُ فى الأرْضِ .. فحفَر الغُراب بِمِنْقَارِه حُفْرَةً فى الأرْضِ تَسَعُ الغُرابَ الميّتَ ، ثم حمل الغرابَ الميّتَ ووضَعَهُ داخِلَ الْحُفْرَة ، ثم أهالَ علَيْه التُّرَابَ ، وسوّى الأرْضَ مَرّةً أُخرى ..

فلما رأَى قابيلُ ما فعله الغُرابُ ، حَزِن ، وقال مُخاطبًا نفْسَهُ فى حَسْرَة :

ـ ياوَيْلَتَا .. لقَدْ عَجزْتُ أنْ أكُونَ مثلَ هذا الغُرابِ ، فَأَدْفِنَ أخى ، وأَسْتُرَ جَسَدَهُ ..

تعلّمَ قابيلُ مِن هذه الحادِثةِ ، وتعلَّمَ بعْدَه بَنُو آدَمَ أنْ يَدْفنُوا مَوْتَاهَمْ .. أن يُوَارُوهُمْ فى باطِنِ الأرْضِ ، الّتى خُلِقُوا مِنْها ، حتَّى لاتَنْهَش أجْسَادَهُمُ الوُحوش والسّباعُ ..

وهذا تكْريمٌ للإنْسانِ على الحيَوانِ حتى بعْدَ مَوْته ..

ولِذلك قرّر قابيلُ أنْ يفعَلَ مثلَمَا فعلَ الغُرابُ ، فَحفَر حُفْرةً لأخيه ، ثم دَفَنَهُ فيها ، وغطَّاهُ بالتُّرابِ .. وعنْدما ثاب قابيلُ إلى رُشْده عَرف أنّه ارْتَكَبَ أكْبَرَ حمَاقةٍ ، وأَكْبَرَ جريمَةٍ وهى جَريمَةُ قتْل النَّفْس التى حرّمَ اللهُ تعالى قتلها بغيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ وتستَحِقُّ علَيْه القَتْلَ ، فَندِمَ على قَتْلِهِ لأخِيه ، ولكنَّ نَدَمهُ كان بعْد فَوات الأوَانِ ، فقدْ كانَ قابيلُ هوَ أوّل مَنْ سَنَّ سُنَّةَ قتلِ الإنْسَان لأخِيه الإنْسانِ على الأرْضِ ..



ولذلك فإنَّ كُلَّ نفسٍ تُقْتَلُ بغَيْر ذنب جَنَتْه ، مُنْذُ ارْتَكَبَ قابيلُ جريمتَهُ ، حتى تَقُومَ السَّاعَةُ ، يتحمَّلُ قابيلُ وِزْرَها مع القَاتِل ، لأَنَّهُ هو الذى سَنَّ هذهِ الجريمةَ ..

وعَلِمَ آدمُ عليه السلام أَنَّ قابيلَ قد قَتَلَ أخاهُ هابيل ، فحزِنَ على وَلَدَيْه حُزْنًا شديدًا ..

حَزِن على القَتيلِ ، لأَنَّهُ كان مُؤْمنًا صالحًا ..

وحَزِنَ على القاتل لأَنَّهُ أَصْبحَ مِنْ حِزْبِ الشَّيطان .. الشَّيْطان الذى حَذَّرَه اللهُ مِنْهُ ، والذى كانَ سَبَبًا لأَنْ يَعْصِىَ آدمُ ربَّهُ فِى الجنَّةِ .. الشَّيْطان الَّذى اسْتَكْبَرَ عَنِ السُّجُود تكريمًا لآدمَ ..

وحزِنَ آدمُ أَكْثَر لأَنَّ الشَّيْطانَ أَصْبَحَتْ له سَطْوَةٌ على أَبْنائه وذُريته ..

وعاشَ آدمُ عليه السلام بَعْدَ ذلك يَعْمُرُ فى الأَرْض ، ويَعِظُ أَبْناءَهُ ، مُبْلغًا إِلَيْهِمْ رِسَالَةَ ربِّه ، ومحذِّرًا إِيَّاهمْ من عدُوِّهِمُ اللَّدُودِ إِبْليسَ .. كما عاشَ آدمُ عليه السلام يُعَلِّمُ أبناءَهُ عِبادَةَ الخالِق سُبْحانَهُ ..

عاش آدمُ إنْسانًا يعْملُ فى الأَرْض ، ونَبيًّا يَدْعُو أبناءَهُ وأَحْفادَهُ لِعبادَةِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ..

وبمُرُورِ عشرات ، بلْ ومِئاتِ السَّنوات ، كَثُرَ عددُ أبْناءِ آدمَ ، وكَثُرَ عَدَدُ أَحْفادِه ، وأَحْفادِ أَحْفادِه ، فأخذوا يتزاوَجُون ، ويتناسَلُونَ ، وانْتَشَرُوا فى الأَرْض لزراعَتِها وعِمَارَتِها ..

وآدمُ عليه السلام مُسْتَمِرٌّ فى دَعْوَتِهِمْ إلى عِبادَةِ الله الواحدِ الأَحَد ، وتَوْحِيده سُبْحَانَه ، وتنْزيهِهِ عن الإشراك به ..

وبلغَ آدمُ عليه السلام منَ الْعُمر أَلْفَ عامٍ ، فشَعَر بدُنُو أجلِهِ ، وبأَنَّ أَيَّامَهُ فى الحيَاةِ قدْ صارتْ مَعْدُودةً ..

ولذلك جمعَ آدمُ أَبْناءَهُ ، ووصَّاهمْ وصِيَّتَهُ الأَخِيرةَ ..

وصَّاهُمْ أنْ يَسيرُوا منْ بعْدِهِ على طَرِيقِهِ ، بأَنْ يعْبُدوا اللهَ ويُطيعُوه ، وأنْ يبْتَعِدوا عن طَرِيقِ الشَّيْطانِ ، ويعْصُوه ، فعاهَدَهُ أبناؤُه على ذلك ..





وعنْدما انْتَهى عَلَيْهِ السَّلَامُ منْ وَصِيَّته ، أغْمَضَ عَيْنَيْه ، وأسْلمَ الرُّوحَ لِخالِقه ، حضَرتْ إلَيْه الملائِكَةُ وغسَلَتْهُ بالسِّدْرِ والْمَاءِ ، ثم كَفَّنُوهُ فى ثِيابٍ ، ثم صَنَعُوا له لَحْدًا ، فدفنُوه فِيه ، وقالوا : هذه سُنَّةُ وَلَدِ آدَمَ مِن بَعْده ..

وحَزِنَ أبناءُ آدمَ لوَفاةِ أبيهِمْ ، لكنَّهُمْ عاشُوا منْ بَعْده يعْمُرُون الأرْض ، فحفِظَ بعْضُهمْ عَهْدَهُ وسارَ على طَرِيقِهِ ، ونَسِىَ آخرونَ ، فأغْوَاهُمُ الشَّيْطانُ ..

فكانَ لابُدَّ أنْ يُرْسِلَ لهمُ اللهُ رُسُلاً وأنبياءَ مِنْ أَنْفُسِهِم ، لِيُبَيِّنُوا لهم طريقَ الْحَقِّ ..

تمَّـــتْ



قصص الأنبياء

نوح عليه السلام





قوم نوح

مَضَتْ سَنواتٌ عَلَى رَحِيلِ آدمَ عليه السلام عَنِ الدُّنْيا .. انْتَشَرَ خِلالَها أوْلادُ آدمَ وَأحْفادُه فِي الأرْضِ يَعْمُرُونها ، وَيَبْنُون الْبُيُوت وَالْمُدُنَ فِيها ..

وَكانَ آدمُ عليه السلام قَدْ وَصَّى أبْناءَهُ ، قبْل رَحِيلِه عَنِ الدُّنْيا ، أنْ يَعْبُدُوا الله تعَالَى ، وَلا يُشْرِكُوا بِه شيْئًا ، وَأنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهم مِنْ عَدُوِّهم إبْلِيس ..

وَلكِنَّ إبليس لَمْ ييْئَسْ مِن غِوايةِ أحْفادِه وَذُرِّيَّته ، فَأَخَذَ يُوَسْوِسُ لَهُم ، مُزَيِّنًا لَهُمُ المَعاصِيَ ، حَتَّى يَصْرِفَهُم عَن عِبادَة الله الْوَاحِدِ الأحَد ..

وَبمُرُورِ السَّنواتِ اسْتجابَ أحْفادُ آدمَ عليه السلام لِوَسوسَة إبْلِيس ، وَأنصتُوا لِغوايَته ، فَنَسُوا وَصِيَّة أَبِيهِم آدمَ ، أبِي الأنْبِياء ، وَأشْرَكُوا بالله ، فعَبَدُوا الأصْنام ، وَقَدَّسُوا بَعْضَ الصَّالِحِين مِنْ قَوْمِهم ..

وَفِي هَذَا الزَّمنِ الْبَعِيدِ ، بَعْدَ وَفَاة آدمَ عليه السلام عاشَ خَمْسَةُ رِجالٍ مِن الصَّالِحين .. كَانُوا يَعْبُدُون الله عَلَى شريعَةِ التَّوْحيد ، الَّتِي ترَكَها لَهُم آدمُ ، فَأَحَبَّهُمُ النَّاسُ ، وَاهْتَدَوْا بِهَدْيِهم ..

كَانَ هَؤُلاء الرِّجَالُ الصَّالِحونَ هُمْ « سُواعُ » و « وَدٌّ » و« يَغُوثُ » و « يَعُوقُ » و «نَسْر» .. وَمَضَى هَؤُلاء الصَّالِحُون إلى رَبِّهم ..

فَحاوَلَ النَّاس تَكْرِيمَهم وَتَخْلِيدَ ذِكْرَاهم ، فَصَنَعُوا لَهُم تَماثِيلَ بِأسْمَائِهم .. وَقَدْ بَقِيَتْ هذِه التَّماثِيل زَمنًا طَوِيلًا ، وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ بِها فِي الصَّباحِ وَالْمَساءِ وَيَنْظُرُون إلَيْها نَظْرَة تَقْدِيسٍ وَاحْتِرامٍ ، وَيَذْكرُون أصْحَابَهَا بالْخَيْرِ وَالصَّلاح ..

وَلكِن بِمُضِيِّ الْوَقْتِ نَسِيَ النَّاسُ الْهَدَفَ ، الَّذِى صُنِعَتْ مِن أَجْلِهِ هَذه التَّماثِيلُ ، وَبَدءُوا يَنْسِجُون حَوْلها الْخُرافاتِ وَالأسَاطِير ..

واسْتَغَلَّ إبْلِيسُ اللَّعِينُ فُرْصَةَ نِسْيان النَّاس لِشَرِيعَةِ آدمَ عليه السلام فَبَدَأ يُوهِمُ النَّاس ، أَنَّ هَذه التَّماثِيلَ يُمْكِن أنْ تَضُرَّهم أوْ تَنْفعَهُم ، وَأَنَّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوا هَذِه التَّماثِيلَ حتَّى لا تَجْلِبَ لَهُم الضُّرَّ ، وَأنْ يَتَقرَّبُوا إلَيْها طَالِبِين مِنها النَّفْعَ ..



وَنسى النَّاسُ عِبَادَةَ الله الوَاحِدِ الأَحَدِ ، واتَّجَهُوا لِعبادة تلْكَ التَّماثيل ..

وَمضت سَنَوَاتٌ ، فَذَهَبَتْ أَقْوَامٌ ، وَجَاءَتْ أَقْوَامٌ ، حَتَّى جَاءَ قَوْمُ نُوحٍ ، فَعَبَدُوا هَذِه التَّماثيلَ ، وَصَنعُوا لأَنْفسهمْ تماثِيلَ أخرَى ، فَعَمَّ الكُفْرُ الأَرْضَ ، وَانْتَشَرَ الْفَسَادُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .. ضَاعَتِ العَدَالَةُ بيْنَ النَّاسِ ، وَانْتَشَرَ الظُّلْمُ .. ظُلْمُ الأَقْوِيَاءِ لِلضُّعَفَاءِ ، وَاعْتَدَوْا عَلَى حقُوقِهم .. وَظُلْمُ الأَغْنِيَاء للفُقراءِ وَأَخذُوا أَمْوَالَهم ..

وَكَانَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاحِدًا مِنْهُم ، لكِنَّه كَانَ يَرْفُضُ تَصرُّفاتِهم ، وَيَرْفُضُ الانْغِمَاسَ فِي لَهْوِهِم ..

وَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى خَيْرًا بِعبادِه ، فَاخْتارَ رَجُلًا مِنْهُم لِيُرْسِلَهُ إِليهم ، هَادِيًا وَمُخْرِجًا لَهُم مِن ظُلُماتِ الْجَهْلِ ، وَضَلَالِ الشِّرْكِ ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، إِلى نُورِ الْحَقِّ ، وَعِبادة الله الوَاحِدِ الْقَهَّارِ ..

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى اخْتارَهُ اللهُ تَعَالَى لِهِدَايَةِ قَوْمِهِ هُوَ النَّبِيُّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

كَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رجُلاً بَسِيطًا .. كَانَ فَقِيرًا ، لكنَّه كَانَ عَاقِلاً ، فَصِيحَ اللِّسانِ .. مَنَحَهُ اللهُ عَقْلًا رَاجِحًا ، وَأَنارَ بَصِيرَتَهُ بِالْحَقِّ ، فَعرفَ مُنْذُ صِغرِه أَنَّ للْكَوْنِ إِلهًا وَاحِدًا ، يَجِبُ أَنْ يَعْبُدَه النَّاسُ جَميعًا ، وَيَتَّجِهُوا إِلَيْه طَالِبين الْخَيْرَ وَالْهِدَايَةَ ، بَدَلاً مِنْ هَذِهِ التَّماثِيلِ الَّتى يَعْبُدُونها وَالَّتى لاَ تَضُرُّ ، وَلا تَنْفَعُ ..

كَانَ نُوحٌ عَبْدًا مِنْ عبادِ الله الشَّاكِرين ، فَكَانَ يَذْكُرُ اللهَ دَائمًا ، وَيَشْكُرُه عَلَى نِعَمِهِ الَّتى لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ..

بَدَأَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلى عِبادَةِ الله تَعَالَى .. قَالَ لَهم :

ـ اعبُدُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِين ، فَهُو خَالِقُكُم وَرَازِقُكم وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُه ..

قَالَ لَهُم : إِنَّ هُنَاكَ حَيَاةً ، ثُمَّ مَوْتًا ، ثُمَّ بَعْثًا لِلحِسَابِ يومَ الْقِيامَة .. فَمَنْ عَمِلَ خَيْرًا فِى الدُّنيا وَآمَنَ بالله وَلَمْ يُشْرِكْ بِه شَيْئًا أَدخَلَهُ الله الْجَنَّةَ ..



وَحذَّرهُم مِن الشِّرْك بِالله تعَالَى ، وَعبَادَة الأصْنام ، وَقَالَ لَهُم : إنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِك ، عَذَّبهُ اللهُ تَعَالَى فِى نَارِ جَهنَّم يَوْمَ القِيامَةِ ..

وَ حذَّرهُم مِن الشَّيْطان ، فَقَالَ لَهم : إنَّ الشَّيْطَانَ لا يُريدُ لَهُمُ الْخيْرَ ، بَلْ يُريدُ أَنْ يُوقِعَهُم فِى الشِّرْكِ ، وَارْتِكابِ الْمَعَاصِى ، وَفِعْلِ الْمُنكَرَاتِ ..

فَمَاذَا فَعَل قَوْمُ نُوحٍ عليه السلام بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعُوا لَهُ ؟

لَقَدْ انْقَسَمَ قَوْمُ نُوحٍ إلى فَرِيقَيْن .. فَرِيق الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَراءِ مِن النَّاسِ..

وَهؤُلاء لَمَسَتْ دَعْوَةُ نُوحٍ قُلُوبَهم ، وَوَاسَتْ جِراحَهم ؛ لأَنَّهم وَجَدُوا فِيهَا الْمُسَاوَاةَ وَالْخَلاصَ مِنْ ظُلْمِهم ، فَآمَنُوا به ..

وَفَرِيقِ الأَغْنِيَاء وَالأَقْوِيَاء مِنْ كِبَارِ الْقَوْمِ وَسَادَتِهِ ، وَهؤُلاء عَانَدُوا نُوحًا ، وَرَفَضُوا أَنْ يُنْصِتُوا إِلَيْه ، أَوْ يُؤمِنُوا بِدَعْوته ، بَلْ رَاحُوا يَسْخرون مِنْهُ ، وَيَكيلُون لَهُ الاتِّهامَات ..

قَالَ الأَغْنِيَاء لِنُوح عليه السلام :

- كَيْفَ تَدَّعِى أَنَّكَ نَبىٌّ مُرْسَلٌ مِن الله ، وَتُريدُ مِنَّا أَنْ نَسْتَمِعَ إِلى دَعْوتك ، وَنُصَدِّقك ، وَأَنْت بَشَرٌ مِثْلُنا ؟!

هَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُرْسِل اللهُ بَشَرًا بِرِسَالَته ؟!

ثُمَّ بَدءُوا يُهاجِمُونه فِى أتباعِهِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِه ، فَقَالُوا لَهُ :

- إِنَّ الَّذِين اتَّبَعُوكَ ، واسْتَمَعُوا إِلَيْك هُمُ الضُّعَفَاءُ والفُقَراء ..

واتَّهمُوا نُوحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِالْكَذِبِ وَالضَّلال .. ثُمَّ بَدَأَ الَّذِين كَفَرُوا يَطْلُبُون مِنْ نُوحٍ مَطَالِبَ غَرِيبَةً ، حَتَّى يُظْهِرُوا عَجزَهُ وَضَعْفَهُ .. قَالُوا لَهُ أَوَّلًا :

- إِذَا أَرَدْتَ مِنَّا أَنْ نُؤمِنَ بِكَ ، وَنُصَدِّقَ أَنَّكَ حَقًّا نَبِىٌّ مُرْسَلٌ مِنَ الله ، فَاطْرُدْ هؤلاء الْقَوْمَ مِنَ الْفُقَرَاء وَالضُّعَفَاء .. نَحنُ سَادَةٌ وَأَغْنِيَاء ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ تُسَوِّىَ بَيْنَنا وَبين هؤُلاَء الْفُقَرَاء الضُّعَفَاء ، فِى مَجْلِسِك ..



وَرَدَّ عَلَيْهِم نُوحٌ قائِلًا : إنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ طَرْدَ هَؤُلاءِ الَّذِين آمَنُوا بِه وَصَدَّقُوه ؛ لأَنَّهُم ضُيوفُ اللهِ ، ولَيْسُوا ضُيُوفَه هُوَ شَخصِيًّا .. كَيْفَ يَطْرُدُ ضُيُوفَ اللهِ ؟! وَإِذا طاوَعَهم وَطَرَدَهُم ، فَمَنِ الَّذِى سَيَنْصُرُهُ مِن اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ؟!

ثُمَّ أخذَ نُوحٌ عليه السلام يُناقِشُ حُجَجَهم ، وَيَرُدُّ عَلَيْها بِالْمَنطِقِ .. فَقالَ لَهُم :

ـ أنا لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُجْبِرَكُمْ عَلَى الإيمانِ بِاللهِ .. إنَّ رِسالَتِى هى أَنْ أُبَلِّغَكُم دَعْوَةَ اللهِ ، وَأُحَذِّرَكُم مِنْ عِقابِه ..

وَأَضافَ نُوحٌ عليه السلام :

ـ فَمَن آمَنَ مِنْكُم ، وَعَمِلَ صالِحًا فَلِنَفْسِه ، وَسَوْفَ يَجْزِيه اللهُ تَعالَى خَيْرًا يَوْمَ الْقِيامَةِ .. وَمَن كَفَرَ وَأَنْكَرَ وَحْدانِيَّةَ اللهِ فَسَوْفَ يَتَحَمَّلُ وَحْدَهُ عِقابَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ .. أَنا لا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مالًا ، وَلا أَسْأَلُكُم أَجْرًا ، فِى مُقابِل أَنَّنِى أَدْعُوكُم لِلخَيْرِ ؛ لأَنَّ أَجْرِى عِنْدَ اللهِ تَعالَى ..

ثُمَّ قالَ لَهُم نُوحٌ عليه السلام :

ـ أَنا لا أَدَّعِى أَنَّنِى مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ ، وَلا أَدَّعِى أَنَّنِى أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، فَالْغَيْبُ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعالَى ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْه أَحَدًا مِن خَلقِهِ .. وَلا أَدَّعِى أَنَّنِى غَنِىٌّ ، أَوْ أَمْلِكُ خَزائِنَ الأَرْضِ .. ما أَنا إِلَّا عَبْدٌ فَقِيرٌ ، لكِنَّنِى شَكُورٌ لِنِعَمِ اللهِ الَّتِى لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى .. إِنَّ هَؤُلاءِ الفُقَراءَ الَّذِين تَحْتَقِرُونَهم لَن يُبْطِلَ اللهُ تَعالَى أُجُورَهُم لِمُجَرَّدِ أَنَّكُم تَحْتَقِرُونَهم .. فَهُوَ وَحْدَهُ الأَعْلَمُ بِما فِى نُفُوسِهم ، وَهُوَ وَحْدَهُ سَيُجازِيهم ..

وَضاقَ الْكُفَّارُ ذَرْعًا بِحُجَجِ نُوحٍ الَّتِى لا تَنْتَهِى ، وَبِرَغْمِ أَنَّهُم كانُوا يَعْلَمُون أَنَّ ما يَقُولُه نُوحٌ هُوَ الصَّوابُ ، وَأَنَّ ما جاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، إِلَّا أَنَّهُم ظَلُّوا عَلَى كُفْرِهم وَعِنادِهم .. قالَ تَعالَى يَحْكِى هَذا الْمَوْقِفَ بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِه مِنَ الْكافِرِين :





﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبكم وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ ﴾ ..

وَتَسْتَمِرُّ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ نَبِيّ الله نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ الكُفَّارِ وَالْمُعَانِدِينَ مِنْ قَوْمِه ، حَتَّى تَنْتَهِى كُلُّ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ حُجَج ، وبَرَاهِين كاذِبَةٍ ، فَيَخْرُجُ الْكُفَّارُ عَنْ حُدُودِ الأَدَبِ وَاللِّيَاقَةِ ، وَيَتَّهِمُون نُوحًا اتِّهَامَاتٍ بَاطِلَةً ..

اتَّهَمَ الْكُفارُ نَبِيَّ اللهِ نوحًا بِأَنَّهُ فِى ضَلالٍ مُبين ، فَرَدَّ عَلَيْهِم نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدًّا مُؤَدَّبًا مُهَذَّبًا ، فَقَالَ لَهُم :

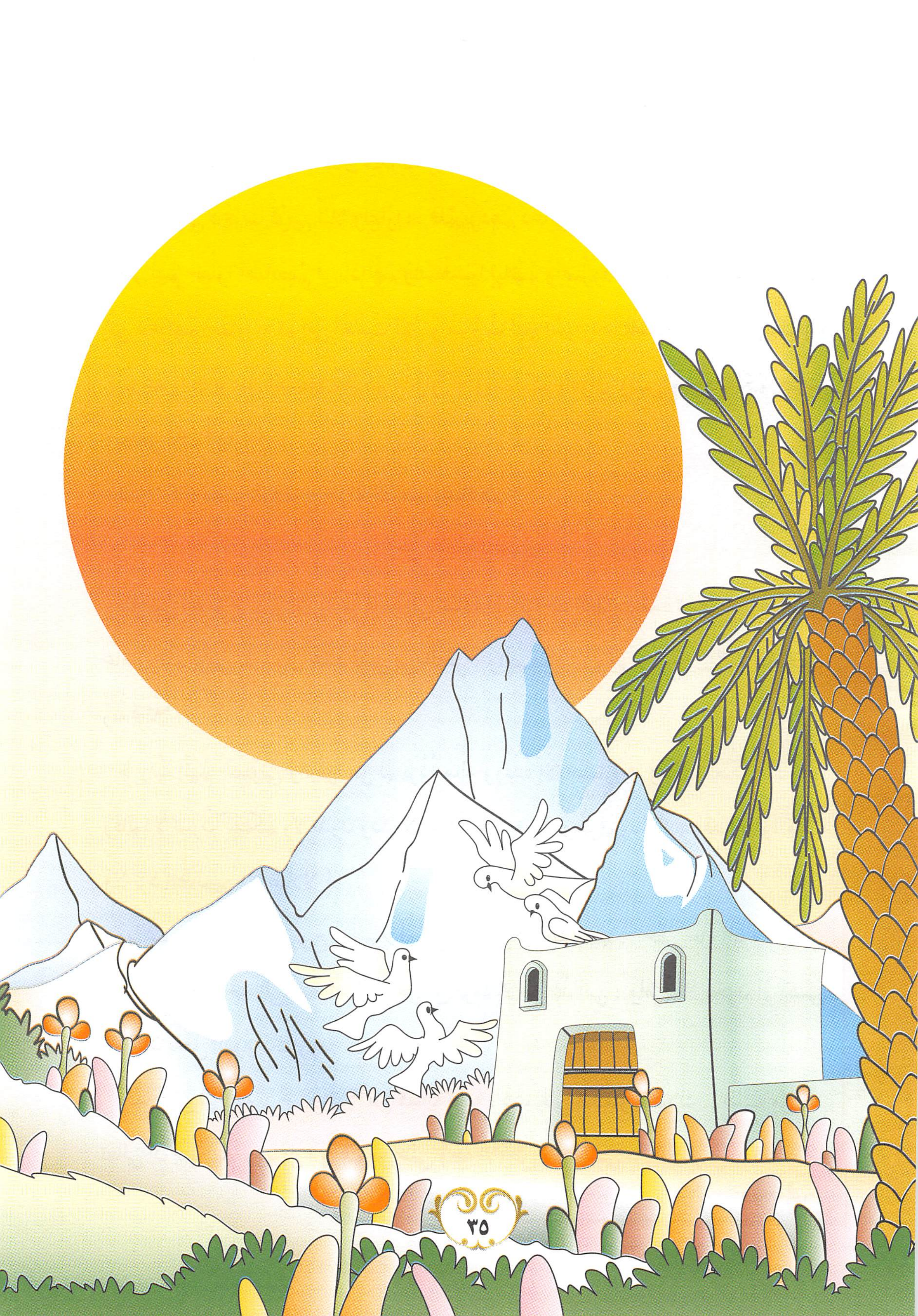
ـ أَنَا لَسْتُ فِى ضَلالَةٍ يا قوم ، وَلَكِنَّنِى رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم .. أَرْسَلَنِى اللهُ لَكُمْ لِكَى أُبَلِّغكم رِسالَتَهُ .. لَقَدْ أَرْسَلنى اللهُ إِلَيكم ناصِحًا أَمِينا ؛ لِكَىْ أُبَيِّنَ لَكُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْخَيْر ، وَأُبعدكُم عَنْ طَرِيقِ الشَّرِّ وَالضَّلالِ الذى تَسِيرُون فِيه .. يا قَوْم إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُون ..

وَهَكَذَا يَسْتَمِرُّ نَبِيُّ الله نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى دَعْوَةِ قَوْمِه الضَّالِّين ، مُحاوِلًا إِخْرَاجَهُمْ مِن الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ القَهَّار ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الشِّرْكِ ، وَنَبْذِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ .. وَإِلَى تَرْكِ الظُّلْم ..

وَظَلَّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو قَوْمَه لَيْلًا وَنهارًا .. صَباحًا وَمَسَاءً .. أَخَذَ يَضْرِبُ لَهُمُ الأَمْثَالَ ، وَيُقَدِّمُ الأَدِلَّةَ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى ..

وَلكِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّمَا دَعَاهُم إلى اللهِ ، لَمْ يَزِدْهُم دُعَاؤُهُ إِلَّا اسْتِكْبارًا ..

لَمْ يستجيبوا له ، ولم يستمعوا إِلَى دَعْوَتِهِ ، بَلْ سَدُّوا آذانَهُم بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِمْ .. وَقَدْ لاحَظَ نَبِيُّ الله نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ عَدَدَ الْمُؤْمِنِين بِهِ يَتَنَاقَصُ يَوْمًا بَعْد يَوْمٍ ، وَأَنَّ عَدَدَ الكَافِرِين يتزَايَدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْم ..



وَحزِنَ نوحٌ عليه السلام حُزْنًا شديدًا ؛ لأنَّه استَمرَّ يَدْعُو قَوْمه إلى اللهِ مِئات السَّنوات ، دُونَ أنْ تكونَ هُناكَ نَتيجَةٌ مَرْجُوَّةٌ ، فَقَالَ مُخاطِبًا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ :

﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ ..

فَماذا كَانَ مَصِيرُ قَومِ نُوحٍ جَزاءَ كُفْرِهم وَعِنادِهم ؟

الطوفان

ظَلَّ نبيُّ اللهِ نُوحٌ عليه السلام يَدْعُو قَوْمَه إِلى عِبادةِ اللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ، مُدَّةَ تِسْعِمائَة وَخَمْسِين عامًا ، فلَمْ يُؤْمِنْ بِه سِوى عَددٍ قَليلٍ من الفُقَراء وَالضُّعفاء .. وَحَزِن نُوحٌ عليه السلام فَخاطب رَبَّهُ قائِلًا :

﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ ..

وَبرَغم ذلك لَمْ يَيْئَسْ نُوحٌ عليه السلام أَوْ يَفْقِد الأَملَ فِي هِدايَتِهم .. حَتَّى جاءَ الْيَومُ ، الَّذِى أَوحَى اللهُ تَعالَى فيه إِلى نَبِيِّه أنَّه لَنْ يُؤمِنَ مِن قومِه إِلَّا مَنْ قَدْ آمنَ ، وَأَمرَهُ أَلَّا يَحْزنَ أَوْ يَيْئَس بِما كَانَ يَفْعَلُ القَومُ الكافِرُون ..

وَلَمَّا يَئِس نبيُّ اللهِ نُوحٌ عليه السلام مِن هِدايَةِ قَوْمِه ، دَعا عَلَى الْكُفَّارِ بِالْهَلاكِ .. طَلَبَ مِن اللهِ تَعالَى أَنْ يُهْلِكَهُم ، وَيزِيلَ دُورَهم مِن عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَلا يُبْقِى مِن الْكافِرِينَ أَحدًا ..



قَالَ نوحٌ عليه السلام مُخاطِبًا رَبَّهُ :

﴿ ربِّ لاتَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ..

وَقَعَ الأمر الَّذى ظَلَّ نوحٌ عليه السلام يتحاشاهُ طَويلًا ، وَهُوَ الدُّعاء عَلَى الكَافِرِين بِالْهَلاكِ .

وَاسْتَجابَ الله تَعالَى دُعاء نَبيِّه نوحٍ عليه السلام فأمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ السَّفِينَة .. لِمَاذا ؟ لأَنَّ الأَرْضَ سَوْف يَعُمُّها طُوفانٌ عَظِيمٌ يُغْرق كُلَّ شَيءٍ عَلَيْها ..

﴿ وَأُوحِىَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُون * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْينا وَلا تُخاطِبْنى فِى الَّذين ظَلَمُوا إِنَّهم مُغْرَقُونَ ﴾ .

شَاء الله أَنْ يُغْرِقَ جَمِيعَ الكَافِرِين عَلَى الأَرْضِ ، فَأَمَر نَبيَّهُ نُوحًا عليه السلام أَنْ يَصْنَعَ الْفُلْكَ ، الَّتى سَتَحْمله هُوَ وَالْمُؤمِنين مِنْ قَوْمِه ، حَتَّى لَا يَغْرَقُوا مَعَ الكَافِرين ..

وَأَخْبَرَ الله تَعَالَى نَبيَّهُ نوحًا عليه السلام بِأَنَّ صُنْعَ السَّفِينَةِ سَيَكُونُ بِعِلْمٍ مِنَ الله ، وَتَوْجِيهٍ مِنْهُ لِنُوحٍ عليه السلام .

وَنَهَى الله تَعَالَى نبيَّه نُوحًا عليه السلام أَنْ يَتوسَّطَ للكافِرين ، أَوِ يَطْلُبَ النجاةَ لأَحدٍ مِنْهُم ، مَهْمَا كَانَ غَنِيًّا أَوْ قَوِيًّا أو ذَا مَرْكَزٍ فِى قَوْمِه ، حَتَّى لَوْ كَانَ أَحَدَ أَقْرِباء نُوحٍ ..

وَيُقَالُ بِأَنَّ الله تعالى قَدْ أَمَرَ نَبيَّه نُوحًا ، أَنْ يَغْرِسَ شَجَرَةً ، فَغَرَسَها ، فَلَمَّا كَبرت ، وَصَارَتْ شَجَرةً ضَخمةً ، أَمَرَهُ بِقَطْعِها ، لِصُنْعِ السَّفِينَةِ ..

وَبَدَأَ نَبِىُّ الله نُوحٌ عليه السلام يَصْنَعُ السَّفِينَةَ الكَبِيرةَ بِتَوْجِيهٍ مِن الله تَعَالَى .. وَكَانَ الْكُفَّارُ يَمُرُّون بِنُوح فِى أَثْنَاء صُنْع السَّفِينَةِ ، وَيَسْخَرُون مِنْهُ .. كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ مُتَسَائِلاً :

ـ لِمَاذا يَصْنَعُ نُوحٌ هَذِه السَّفِينَةَ الكَبِيرةَ ، فَوْقَ الأَرْضِ ، وَفِى هَذَا المَكَانِ اليَابِسِ ، الَّذى لَيْسَ فِيه بِحَارٌ وَلا أَنْهارٌ وَلَا مَاءٌ ؟! أَيْنَ سَتَسِيرُ هَذِه السَّفِينَةُ ؟!



فَيَرُدُّ الآخَرُون سَاخِرين :

ـ لابُدَّ أنَّ نُوحًا سَيَجْعلُها تَسْبحُ فوقَ الرِّمالِ ، أَوْ تَسِيرُ فوقَ الجِبَالِ ..

وَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرُدُّ عَلَى سُخْريتِهم مِنهُ بِقَوْلِهِ :

ـ إِنْ تَسْخَرُوا مِنّى الْيَومَ ، فَسَوْفَ أَسْخَرُ مِنْكُم غَدًا .. إنّ سُخْريتَكم مِنّى مُؤَقَّتَةٌ ، وَالْعِبْرَةُ بِالنِّهَايَةِ .. غدًا يَأْتِى الطُّوفَان ، وَيحُلُّ عَلَيكم عَذَابُ اللهِ ..

وَيَعْلَم اللهُ وَحْده كَم اسْتَغْرَقَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن الْوَقتِ فِى صِنَاعَةِ السَّفِينةِ ، لَكِنَّهُ انتهى أَخِيرًا مِنْ صِنَاعَتِها .. فَأَخَذَ يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللهِ تَعَالى بِقُدُومِ الطُّوفَان الَّذى سَيُغْرِقُ الأرْضَ بِما عَلَيْها ، وَمَنْ عَلَيْها ..

وَأَوْحَى اللهُ تَعَالى إلى نُوحٍ ، أَنَّ الطُّوفَان قَادِمٌ ، وأَنَّ عَلامةَ قُدُوم الطوفانِ ، هى أَنْ يَخْرُجَ الماءُ مِن « التَّنُّورِ » وهُوَ الْفُرنُ الّذى فِى بَيْتِ نُوحٍ ..

وَأَمَرَ اللهُ نَبيَّه نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَحْملَ مَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْحيَوَانِ وَالطَّيْرِ وَالنباتِ الْمَوْجُودِ عَلَى الأَرْضِ زَوْجَيْن دَاخِل السَّفِينةِ ؛ لأَنَّ الطُّوفَان عِنْدَمَا يَعُمُّ الأرْض سَوْفَ يُغْرِقُ كُلَّ شَىْءٍ بَقِى خَارِجَ السَّفِينةِ ، حَتَّى تَقُومَ هذِه الْمَخْلُوقاتُ بِإِعَادةِ إِعْمَارِ الأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ الطُّوفَانِ ..

وَيُقَالُ : إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ قَسَّمَ السَّفِينَةَ ثَلاث طَبَقاتٍ أَوْ ثَلاثَةَ أَدْوَارٍ ..

فَأَخَذَ يَجْمَعُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوانِ وَالْوُحُوشِ زَوْجَيْن وَيُدْخِلُهُما فِى الطَّبَقَة السُّفْلَى ، وَهِىَ قَاعُ السَّفِينةِ .. وَيَجْمَعُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ زَوْجَيْن ، وَيَضَعُهما فِى الطَّبَقَة الْعُليَا مِنَ السَّفِينَة .. أَمَّا الطَّبَقَةُ الْوُسْطَى فَقَدْ تَرَكَها لِلنَّاجِين مِن الْمُؤْمِنِين ، الَّذين سَيَرْكَبُونَ مَعَهُ السَّفِينَة ..وبالطَّبْع فَقَدْ جَمعَ الطَّعَامَ الْمُناسِبَ ، وَالْماءَ الَّذى يَكْفِى كُلَّ هذه المخلُوقاتِ طَوَالَ مُدَّة الطُّوفَانِ ، وَالتى لا يَعْلَمُ كَمْ سَتَسْتَمِرُّ ..





وَيُقَالُ : إنَّ الله تعالَى قَدْ أَلْقَى السَّكِينَة والْهُدُوء عَلَى الْوُحُوشِ وَالضَّوارِى الْمُفْتَرسَةِ ، فَعاشَتْ مَعَ بَعْضِها فِى سَلامٍ ، طُوال مُدَّة تَواجُدها داخِلَ السَّفِينة ، فَلَمْ يَعْتَدِ حَيَوانٌ عَلَى آخَر أَوْ يَفْتك به ، كَمَا يَحْدثُ حِينَما تَكُون طَلِيقَةً مَعَ بَعْضِها فِى الطَّبِيعَة .. وَهذِه حِكْمَةٌ بالغَةٌ مِن الْمَوْلى سُبْحَانه ، لِتَبْقَى كُلُّ الأَنْوَاع دُونَ انْقِرَاضٍ ..

وَأَخِيرًا جَاءَ الْيَومُ الْمَوْعُودُ .. حَانَت اللَّحظَةُ التِى انتَظَرَهَا نُوحٌ .. فَارَ الْمَاء فِى الفُرْنِ الَّذى فِى بَيْتِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ ذلِك عَلامَةً عَلَى قُدُوم الطُّوفَان ..

صَعِدَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السَّفِينةِ ، وَأَخذَ يُنادِى عَلَى الْمُؤْمِنين ؛ لِيَرْكَبُوا مَعَهُ كَمَا أَمَرَهُ الله تعالَى..

وَيُقَالُ : إنَّ عَدَدَ الْمُؤْمِنِين كَانَ قَلِيلاً ، وَكَان مِنْهُم نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثَلاثَةٌ مِنْ أَبْنَائِه هُمْ (سَام) وَ (حَام) وَ (يافِث) وَزَوْجَاتهم ..

وَقَدْ كَانَ زَوْجَة نُوح وَأَحد أَبنائِه مِنَ الْكافِرِين ، فَلَمْ يَرْكَبَا مَعه السَّفِينَة .. وَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُ أَنَّ زَوْجَته كافِرَة ، وَلِذلكَ لَمْ يُنَادِها لِتَرْكَبَ مَعَهُ السَّفِينَة ..وَكَانَ ابْنُ نُوح كَافِرًا ، لِكنَّه كَانَ يُخفِى كُفْرَه عَنْ أَبِيه ، وَلِذلِك نَادَاه نُوحٌ لِيَرْكَبَ مَعَهُ ، حَتَّى يَنْجُوَ مِنَ الغَرَقِ مَعْ الْمُؤْمِنِين .. وَلَكنَّ الابْنَ الكَافِرَ عَصَى وَالِدَهُ ، وَرَفَضَ أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ السَّفِينَة .. وقال لأَبيه إِنَّهُ سوفَ يصعدُ فوقَ قمة جبلٍ مرتفعَة لِيَحْتَمِى بِها مِنَ الْمَاء ، فَلا يَغْرق ..

حَزِنَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لابْنه : إِنَّهُ لَن يَنْجُوَ مِنَ الْغَرَقِ إِلَّا مَنْ رَحِمَه اللهُ وَكَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِين ..

وَبَدَأَ الطُّوفَانُ يَجْتاح الأَرْض .. انْدَفعتِ الْمِياه مِن فَتَحاتِ الأَرْضِ بِقُوَّةٍ ، وَانْهَمَرتِ الأَمْطَارُ غَزِيرَةً مِنَ السَّماءِ .. وَأَخَذَ الْمَاء يَرْتَفعُ بِقُوَّةٍ فَوْق سَطْح الأَرْضِ ، فَارْتَفَعتِ السَّفِينَةُ عائِمَةً فَوْقَ سَطْح المَاءِ ، وَبِداخِلها نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنُون مَعَهُ ..

وَغطَّى الْمَاءُ كُلَّ شيءٍ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ .. الأَشْجَارَ وَالنباتَاتِ وَالحَيَوانَاتِ وَالبشر ، وَحَتَّى الجِبَال ..



غَرِقَ الكُفَّارُ ، وغرق كُلُّ شيءٍ عَلى الأَرْض .. حتَّى ابن نُوحٍ الَّذى صَعِدَ فَوْقَ الْجَبَل لِيَحْتَمِىَ بِهِ ، غَرِقَ وَمَاتَ ..

باخْتِصَارٍ غرقَتِ الْحياةُ على الأَرْضِ ، ومَاتَ كُلُّ شَيءٍ ، فَلَمْ يَبْقَ حَيًّا سِوَى مَنْ رَكِبَ سفينة نُوحٍ ..

أَمَّا السَّفِينَةُ فَقَدْ سَارَتْ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ بِإذْنِ اللهِ .. وَاسْتَمَرَّ الطُّوفَانُ زَمَنًا يَعْلَمُهُ اللهُ تَعالى .. فَقَالَ بَعْضُهم : إِنَّهُ اسْتَمَرَّ سِتَّة شُهُورٍ ، وَقَالَ بَعْضُهم : إِنَّهُ اسْتَمَرَّ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُهم : أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ .. وَأَخِيرًا أَوْحَى اللهُ تَعالى إلى السَّمَاء أَنْ تَكُفَّ عَنْ إِرْسَالِ الْمَطَرِ ، وَإِلَى الأَرْضِ أَنْ تَسْتَقِرَّ ، وَتَبْتَلعَ مَاءَهَا .. فَأَجَابَتِ السَّماءُ والأَرْضُ ..

انْتَهى زَمَنُ الطُّوفَان ، وَاسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ بِمَنْ فِيهَا عَلَى (الجودِيِّ) وهُوَ جَبَلٌ مُرْتَفِعٌ ، يَقُولُ الْمُفَسِّرُون : إِنَّهُ مَوْجُودٌ فِى الْجَانبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَهْر دِجْلَة ، قَرِيبًا مِنْ مَدِينَةِ الْمُوصل فِى العِرَاق ..

وَيُقَالُ : إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ البِلادَ كُلَّها قَدْ غَرِقَتْ بِمن عَلَيْها مِنَ الْكَافِرِين ، فَأَطْلَقَ الْحَمَامَةَ ، فَطَارَتْ بَعِيدًا عَنِ السَّفِينَةِ ..

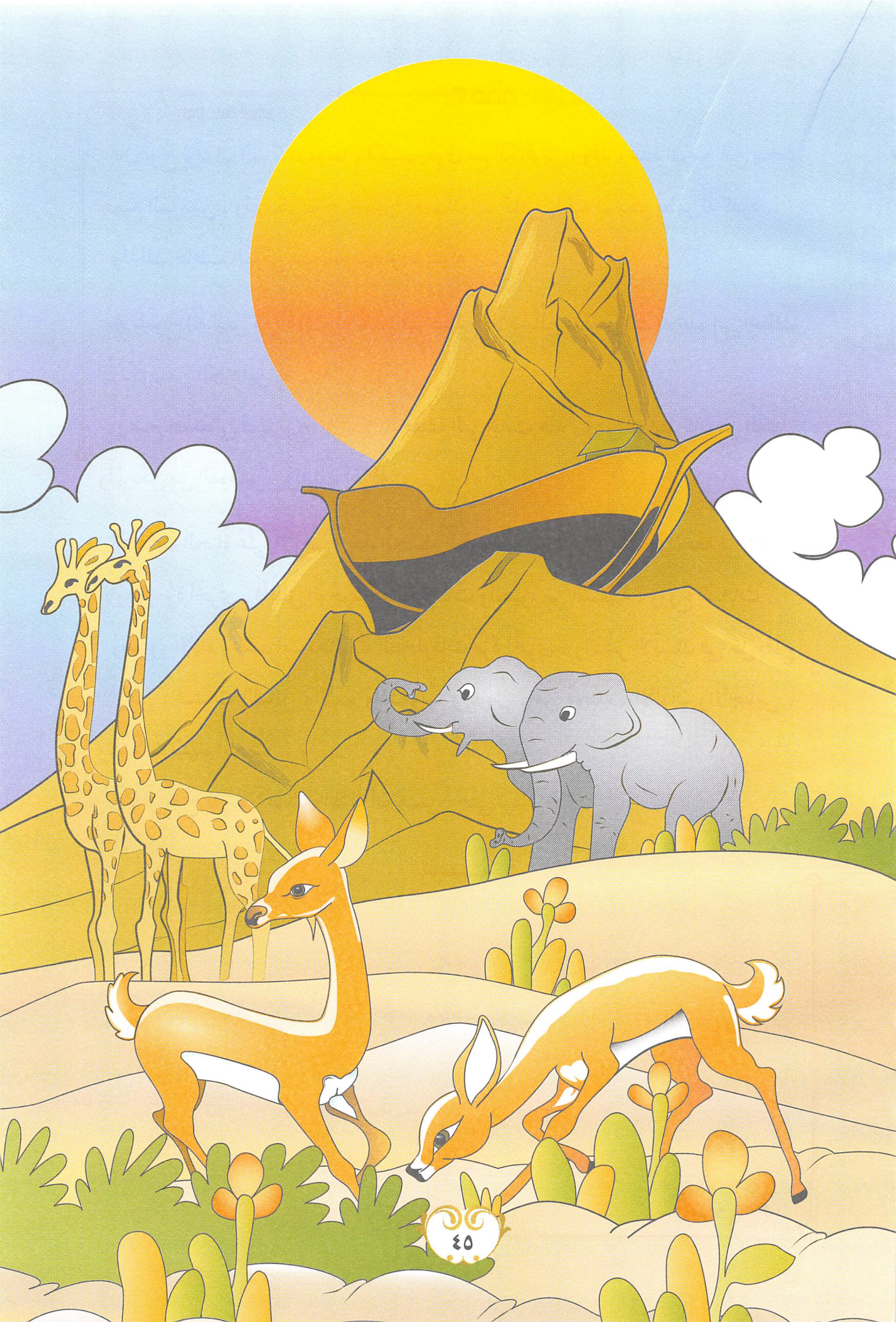
ثُمَّ عَادَتْ وَهِىَ تَحْمِل فِى مِنْقَارِها غُصْنَ زَيْتُونٍ وَفِى أَرْجُلها الطِّين ، فَعَلِمَ أَنَّ الطُّوفَان قد انْتَهى ، فَطَوَّقَها بِالطَّوْقِ الَّذى فِى عُنقِها ، وَلِذَلِك صَارَتِ الحَمَامَةُ رمزًا لِلسَّلام ..

وَظَهرتِ الأَرْضُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ انْحَسَر عَنْهَا الْمَاء ، لَكِنَّها أَصْبَحَتْ خَالِيَةً مِنَ الْكَافِرِين ..

وَتذكر نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ الَّذى غَرِقَ ، فَحزِنَ لِذَلِكَ أَشَدَّ الْحُزْنِ ..

وَخَاطَبَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ قَائِلًا :

﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِين ﴾ ..



قَالَ نُوحٌ لِرَبِّه إنَّ ابْنه كَان مُؤمِنًا ، فكَيْفَ يَغرقُ مَعَ الكافِرين ، وَقَدْ وَعدَهُ اللهُ مِنْ قبْلُ بِنجاةِ جَميعِ المُؤْمِنين ، وَلَمْ يَكُنْ نوحٌ عليه السلام يَعْلَمُ أَنَّ ابْنه كافر ، لَكِنَّه لَمْ يَكُنْ يُظْهِرُ لَهُ كُفْرَه ..

وَلِذلِكَ خاطَبَ الْمَوْلَى سُبْحانَه نَبِيَّه نُوحًا بِقَوْلِه :

﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ..

أَوْضَحَ اللهُ تَعالَى لنبيِّه نُوحٍ عليه السلام الْحَقيقَةَ الَّتِي غابَتْ عَنْهُ ، وَهِيَ أَنَّ ابْنَه كَانَ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُؤْمِنين ؛ وَلِذَلِكَ أَغْرَقَهُ ..

اسْتَقَرَّتِ الْحَيَاةُ عَلَى الأَرْضِ ، بَعْدَ انْحِسارِ الطُّوفَان ، وَأَخَذَ نُوحٌ وَالنَّاجُون مَعَه فِي عِمارةِ الأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَطْلَقَ الْوُحُوشَ والْحَيَوَاناتِ والطيُورَ مِنَ السَّفِينَةِ ، وَزرَعَ النَّبَاتاتِ ..

وَبِمُرُورِ الأَيَّامِ وَالسَّنَوات تَكَاثَرتِ الْمَخْلُوقاتُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَانْتَشَرَ الإِنْسَانُ فِي كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ ، فَنَشَأَتِ القَبائِلُ وَالأُمَمُ وَالشُّعُوبُ وَالدُّوَلُ ، مِن مُخْتَلَفِ الأَلْوَانِ وَالأَجْناسِ ، وَتَعَدَّدَتْ بَيْنَهم اللُّغَاتُ ..

وَعَاشَ نُوحٌ عليه السلام مَا شَاءَ اللهُ لَهُ أَنْ يَعِيشَ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ..

تمَّتْ



قصص الأنبياء

هود عليه السلام





الرِّسَالَةُ

بعْدَ زمَن الطُّوفانِ ، لمْ يبْقَ على الأرْضِ إلَّا المؤْمنون ، الذين أنْجاهُمُ الله فى السَّفينة معَ نوح ..

وقدْ مضَى نُوحٌ عليه السلام إلى رَبِّه ..

ومضَتْ سنواتٌ طويلةٌ .. عَشَرات ـ ورُبَّما مئاتُ السَّنوات ـ بعْدَ رحيلِ نُوح .. نشَأَتْ خِلالَها أقوامٌ ، وأُمَمٌ جديدَةٌ .. وكالْعادةِ نَسِى النَّاسُ وصايا الأنْبياءِ والْمُرْسَلين بعِبادَةِ الله وتَوْحيدِهِ ، والْبُعْد عن عِبادَةِ الأوْثانِ ..

وكانَ منْ بَيْنِ الأَقْوام الَّتى جاءَتْ بعْدَ قوْمِ نُوحٍ ، قوْمٌ يُسَمَّوْنَ قوْمَ « عاد » ..

وقدْ عاشَ قومُ « عادٍ » فى مَكانٍ بالْجزيرَةِ العَرَبيَّةِ يُسَمَّى « الأحْقاف » وهى قَرْيَةٌ تقعُ حاليًّا بيْن « عُمَانَ » وبلادِ الْيَمنِ ..

كان قوْمُ « عادٍ » يعيشونَ فى رَغدٍ مِن العَيْشِ .. منَحهُمُ اللهُ تَعالَى نِعَمًا كثيرةً ، وخيْراتٍ وفيرةً ..

وكانَ منْ أهمِّ النِّعَم التى منحها اللهُ لقوْمِ « عادٍ » بلدَتُهُمُ الطَّيِّبَةُ .. فقدْ حَفَروا الآبارَ ، وفجَّرُوا العُيُونَ التى استَخْرَجوا مِنها الماء بكَمِّيَّاتٍ غَزيرَةٍ تكْفى لِزراعَةِ الأرْضِ ..

فأنْشئُوا المزارِعَ ، وأحاطوا قُصُورَهُمْ بالحدَائق والبَساتِينِ الْمُثمِرَةِ بالفاكهةِ الشَّهيَّةِ ، والأشْجار الظَّليلَةِ ..

وكان مِنْ أهَمِّ النِّعَم ، الَّتى أنعَمَ اللهُ تَعالَى بها على قوْمِ « عادٍ » نِعْمةُ الصِّحَّةِ والقُوَّةِ ..

فكانتْ أجْسامُهمْ طويلةً ضَخْمةً ، حَيْثُ زادَهُمُ الله بسْطَةً فى الْخَلْقِ ، وجعلهمْ خُلَفاءَ فى الأرْض منْ بعدِ قوْم نُوح .. كما كانَتْ أراضيهمُ الشَّاسِعة تُنْبِتُ لهمُ المحاصيلَ الوَفِيرَة ، التى يعيشونَ عليْها ، و تُنْبِتُ لهمُ العُشْبَ الذى تَرْعَى فِيه ماشِيَتُهُمْ ..

لقد آتاهُمُ اللهُ تَعالَى مِنَ النِّعَم ما لمْ يُؤتِ أحدًا منَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ..





فماذا فعلَ قوْمُ « عادٍ » فى مُقَابِلِ كلِّ هذه النِّعَم التى أنْعَمَها الله عليهِمْ ؟ هلْ قابَلُوها بالشُّكْر لله ؟! هلْ حَمِدُوا اللهَ على نِعَمِه ؟! هلْ عَبَدوه وحْدَهُ دونَ أنْ يُشرِكوا به ؟

لا ..

إنّ قوْمَ « عادٍ » لم يفْعلوا شيْئًا مِنْ ذلك .. لقدْ قَابلوا كلَّ نِعَمِ الله تعالى عليْهِم بالْجُحُود والنُّكْرانِ ..

لم يَعْبُدوا اللهَ تعالى ، بلْ كفَروا به سُبْحَانَهُ ، وأشرَكوا مَعَهُ ..قَلَّدوا قوْمَ نوحٍ فى عِبادتهمْ لأصْنامِهِمُ الْخَمسَةِ :

« وَدّ » و « سُوَاع » و « يَغُوثَ » و « يَعُوقَ » و « نسر »

ويقال : إنّ قوْمَ « عادٍ » صنعوا لأنفسهم أصنامًا وعبدوها .. فكانوا يلْجَئونَ إلى هذه الأصْنامِ كلَّما أصَابَهُمْ مَكْرُوهٌ .. فيطْلبونَ مِنْها أنْ تَرْفعَ عنْهُمُ الضُّرَّ ..

وكانوا يتّجهونَ إليْها بالشُّكْر والعبادَة ، كلَّما رزقَهُمُ اللهُ تعالى نعْمةً منَ النِّعَم ..

جَحَد قوْمُ « عادٍ » حقَّ اللهِ عليْهم .. ولكنْ هلِ اكْتفَوْا بذلك ؟!

لا ..

لقد أفْسَدُوا فى الأرْضِ .. فأذَلَّ القوِىُّ منهُم الضَّعيفَ وسَخَّرَهُ لِخِدْمَتِه .. واعْتَدَى الكبيرُ على الصَّغِير .. ونهبَ القَادِرُ حُقُوقَ الضَّعيفِ .. وجارَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ ..

فانْتَشَرتْ بينهمُ العَدَاوَةُ والْبَغْضَاءُ ..

وقدْ أراد اللهُ تعالى هِدَايَةَ قوْم « عادٍ » فاخْتَارَ منْهُمْ رَسُولًا ، ليُرْسلَه إليهم برسالَتِه .. رسُولًا يُحَدِّثُهُمْ عنِ الله .. رَسُولًا يُخْرجُهُم منَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ ، ومنَ الجهْلِ إلى العِلْمِ ، ومنَ الضَّلالِ إلى الْحَقِّ .. رسُولًا يُبَيِّنُ لهمْ أَنَّ هناك مَنْ هو أحَقُّ بِالعبادةِ من الأصْنامِ ، وهوَ اللهُ تَعَالَى ..



وكان الرَّسُولُ الذى اخْتارَهُ اللهُ لِيُرْسِلَه لقوْم « عادٍ » هو « هودٌ » عليه السلام ..

كانَ « هودٌ » عليه السلام رجُلًا فاضِلًا فى قَوْمِه ..

كانَ أرجَحَ قَوْمِه عقْلًا ، وأكثَرهُم طِيبةً وخُلُقا ..

وكان أكْثَرهم عِلْمًا ، وأكثَرهُم حِكْمَةً ورحَابَةَ صَدْرٍ ..

وقدْ مَنحهُ اللهُ تَعالَى قوَّةً ورحَابَة فى الْجِسْم ، مِثْله فى ذَلك مِثْلُ قوْمِه ..

وقدْ كان هُود عليه السلام عارِفًا بالله ، على صِلَةٍ طيِّبَة به ، فلمْ يعْبُدِ الأصْنامَ التى عَبدَها قوْمُه ..

أمرَ اللهُ تَعالَى نَبِيَّه هُودًا عليه السلام أنْ يَذْهبَ برسالَته إلى قوْم « عادٍ » فأطاعَ هُودٌ ربَّه ، وذهبَ ليَقُولَ لهُمْ : إنَّه نبيٌّ مُرْسَلٌ إليهم مِنَ الله .. وقد جاءَ لِهدَايتهمْ وإخْراجهْم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ ..

قال هُودٌ لقَوْمِه : إنّ ما ينْحِتُونَه بأيْديهمْ مِنْ أصْنامٍ ، لا يُمْكنُ أنْ تضُرَّهُمْ ، أوْ تَنْفَعهُمْ ..

كيْف ينْحِتُ الإنْسانُ بِيَدَيْه صَنمًا مِنَ الحِجارة ، ثمَّ يَسْجُدُ لهُ ؟!

يا قوم إنَّ هذه الأصْنامَ التى تعْبُدُونها لا يُمْكِن أنْ تضُرَّ أوْ تَنْفعَ ، ولنْ تُغْنِى عنْكُم مِنَ الله شَيْئًا ..

وقال لهمْ هود عليه السلام : إن هناك إلَهًا واحدًا لِلْكوْن وليْس هناكَ إلَهٌ غيْرُهُ .. اللهُ وحْدَهُ هو الذى يجبُ أنْ تَعبُدوه ، وتَتَّجِهوا إليْه بالدُّعاءِ ، طالِبينَ منه الهِدايَة ..

اللهُ هو الّذى خلقكُم ، وخلَقَ آباءَكُم وأجْدادَكُم الأوائِلَ ..

اللهُ هو الذى أَوْجَدَكُم منَ العَدَمِ ، وهو الّذى يُحْييكُمْ ، ثمَّ يُميتُكُم ، ثمَّ يَبْعثُكمْ يومَ القيامة لِلْجزاءِ والحِسَابِ ..

فمَنْ آمنَ وعَملَ صالِحًا فى دُنْيَاهُ ، كافأهُ اللهُ بالْجَنَّةِ ، ومنْ كفرَ وعصَى ، عاقبهُ اللهُ بالإحْرَاقِ فى نارِ جَهنَّمَ ..



اللهُ هو الذى مَنَحكُمُ الصِّحَّةَ والْقُوَّةَ ، وخلقَ لكمْ أجْسامًا طِوالًا عَريضَةً ، دُونَ غيْرِكُمْ مِنَ الأُمَمِ ..

اللهُ هو الذى أنْزَلَ لكمْ منَ السَّماءِ ماءً ، فأحْيا لَكُمُ الأرْضَ مِن بَعْد مَوْتها ، وأخْرجَ لكمُ الزرْعَ ، وباركَ لكمْ فى مَوَاشِيكُمْ وأنْعَامِكُمْ ..

اللهُ وحْدَهُ هو الذى خلقكمْ وجعَلكُمْ خُلَفَاءَ فى الأرْضِ مِنْ بعْدِ قوْمِ نوحٍ ..

وهكذا أخذَ نبىُّ اللهِ هُود عليه السلام يُعَدِّدُ لِقَوْمه نِعَمَ اللهِ تعالى عليْهِمْ ..

وفى نِهاية كلامِه ، قال لهمْ :

ـ احْذَروا يا قَوْمِ أنْ تَضلُّوا عنِ الحقِّ ، أو تُغْلِقوا آذانكُمْ عَنِ الاسْتِماعِ إلَى نُصْحِى ، فيُصيبَكم ما أصَابَ الكفَّارَ والْمُعَانِدينَ مِن قومِ نوحٍ ، حَيْثُ أغْرقهُمُ اللهُ تعالى بالطُّوفان ..

فماذا كانَ جوابُ قومِ هودٍ علَيْه ؟ هلْ صدَّقُوا كلَامَهُ وآمَنُوا به ، وبِرِسَالَته ، التى جاءَهمْ بها مِنْ عنْدِ اللهِ ؟

لا ..

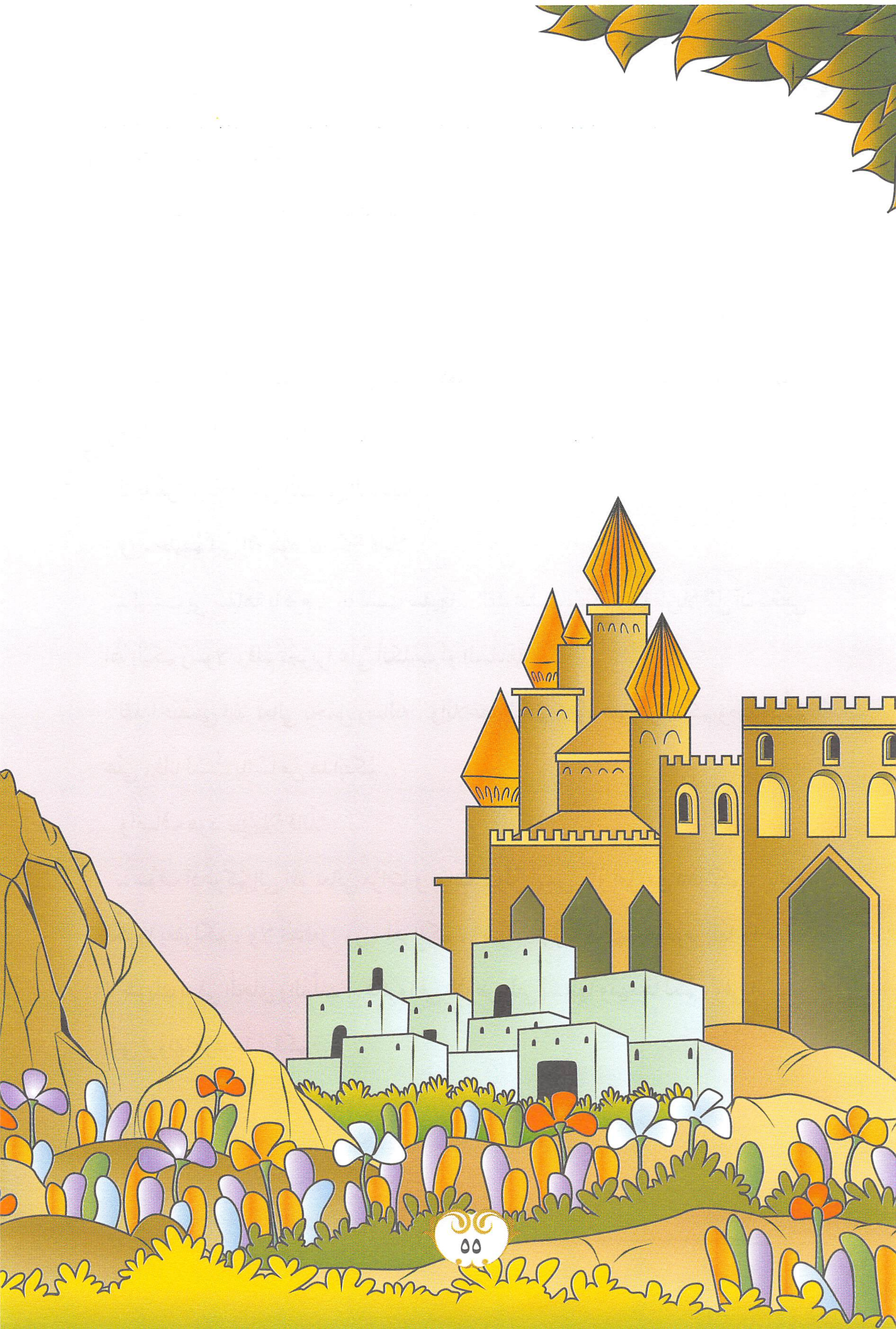
لقدْ فُوجِئَ نبىُّ اللهِ هُود عليه السلام بأنَّ جوابَ قوْمه علَيْه ، كانَ عَكْسَ ما توَقَّعَ تمامًا .. لقدْ سَخِرُوا منْهُ وقالوا لهُ :

ـ ما هذا الهُراءُ ، الّذى تَهْذِى به يا هُودُ ؟!

كيْفَ تطْلُبُ منّا أنْ نتْرُكَ عبادَةَ آلِهَتِنا ، لِنَعْبُدَ إلَهَك الذى تدْعونا إلَيْه ؟!

فقال لهمْ هودٌ فى كلماتٍ رقيقةٍ مهذَّبةٍ :

ـ يا قوْمِ إنما أدْعوكمْ إلى عِبادةِ اللهِ الواحِدِ الأَحَدِ ، الفَردِ الصَّمَد .. فاللهُ وحدَه هو الّذى خلقكُمْ ، وهوَ الّذى يَرْزُقُكُمْ ، أمَّا هذه الأصنامُ التى تَعْبُدونَها ، فهِىَ لا تضُرُّ ، ولا تنْفَعُ ، ولنْ تُغْنِىَ عنْكُمْ مِنْ اللهِ شيئًا ..



وغَضِبَ القوْمُ ، فقالوا له :

ـ ما أنْت إلّا سَفيهٌ طَائِشٌ .. أنتَ لسْتَ نبِيًّا ، ولا رسُولًا .. أنْت كاذِبٌ ..

وأَضافوا قائِلينَ :

ـ لقدْ جئْتَ يا هُودُ لِتُسَفِّهَ عُقُولَنَا ، وتَعِيبَ آلهَتَنَا ، الّتى كان يعْبُدُها آباؤُنا .. ما أنت يا هود إلّا بَشَرٌ مِثْلُنا ، تأْكُلُ كما نأْكلُ ، وتشْرَبُ كما نشْربُ .. ثمَّ تأتى وتَزْعُمُ أنَّ اللهَ قدْ خصَّكَ وحْدَكَ بالرِّسالةِ ، وأرْسَلَكَ لنا نَبِيًّا ..

لا يا هُودُ ، نحْنُ نَظُنُّ أنَّك مِنَ الكاذِبِينَ ..

وردَّ عليهِمْ نبيُّ الله هُود عليه السلام قائلًا :

ـ ليْسَتْ بى سَفاهَةٌ يا قوْم .. أنا لسْتُ سَفِيهًا .. لقدْ عِشْتُ بيْنَكُمْ زمنًا طويلًا قبْل أَنْ يَبْعَثَنِى اللهُ إليْكم رَسُولًا ، فلمْ تُجرِّبوا علَىَّ الكَذِبَ أو السَّفاهَةَ ..

لقدِ اختصَّنى اللهُ تعالى بحَمْلِ رسالَتِه ، وإبْلاغِها إليْكُمْ .. وَبرَغْمِ إعْراضِكمْ وصُدُودِكُمْ عنِّى ، فأنا لسْتُ يائِسًا منْ هِدايَتِكُمْ ..

وأضافَ هود عليه السلام قائلًا :

ـ سوْفَ أدْعُوكُمْ إلى اللهِ تعالَى مرَّاتٍ و مرَّاتٍ ، ولنْ أيْئَسَ ، أوْ أملَّ منْ دعْوَتكمْ .. ياقوْم فكِّروا بِعقُولكم ، ولا تَنْدَفِعوا وراءَ أهْوائِكُمْ .. سوْفَ ترَوْنَ أنَّ لِهذا الكوْنِ إلهًا واحِدًا ، لا شريكَ له فى الْخَلْقِ والمُلْكِ .. فكِّروا فى الأرْضِ التى بَسَطَها ومَهَّدَها لكُمْ ، وفى السَّماءِ الّتى تَرَوْنها مَرْفوعةً فوْقكُم ..



ـ مَنِ الَّذى رفعَ السَّماءَ بِغَيْرِ أعْمِدَةٍ ، وأمْسَكَها حتَّى لا تقعَ عليْكُمْ .. فكِّرُوا فى الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجُومِ والكواكبِ التى تُزيِّنُ السَّماءَ ، وتفيضُ عليْكُمْ بالنُّورِ والدِّفْءِ .. فكِّروا فى الأرْضِ التى تَسيرونَ عليْها ، بما فيها مِنْ مخلوقَاتٍ ، وبما عَليْها منْ حيَاةٍ ، وزَرْعٍ ونَبَاتٍ وحيَوَانٍ .. من الَّذى يحْفَظ الفَلَكَ الدَّوَّارَ من الاصْطِدامِ أوِ السُّقوطِ ؟

لا شَكَّ أنَّهُ اللهُ .. الإلَهُ الواحِدُ الأَحَدُ ، الّذى أرْسَلَنى إليكُمْ برسَالته .. اللهُ الذى أدْعُوكُمْ إلَى الإيمانِ به .. آمِنُوا باللهِ ، واسْتغْفِروهُ ، فهو الّذى يُرْسِل إليْكُمُ المطَرَ منَ السَّماءِ .. وهو الذى يَمُدُّكُم بأَمْوالٍ فوْقَ أمْوالِكُمْ وهو الَّذى يَزيدُكُمْ قُوَّةً على قُوَّتِكُمْ ..

واعْلموا أنَّكمْ سوْفَ تُبْعَثُونَ بعْدَ موْتِكُمْ وتحاسَبُونَ .. فمَنْ عمِلَ صالحًا فلِنَفْسِهِ ، ومَنْ أساء فعَلَيْها ..

يا قوم تَدَبَّروا لأنفُسِكُمْ ، وخُذُوا حِذْرَكُمْ لآخرَتِكُمْ .. لقدْ أبْلغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ به ، وإنِّى لكمْ نَذيرٌ مُبينٌ ..

فماذا كانَ جواب قوْم « عاد » على نبِيِّهمْ هُود ؟

لقدْ سَخِروا منْه ، واسْتهزَءُوا بكلامِه ، وقالوا له فى تَحَدٍّ :

ـ لا شكَّ أنَّ أحدَ آلِهتِنا الَّتى تسْخَرُ مِنها قدْ أصابك بِسُوءٍ ، فجعلَ عقْلَكَ مُخْتَلًّا ؛ ولهذا أصْبَحْتَ تَهْذِى بكلمَاتٍ لا مَعْنَى لها يا هُودُ ..

الهلاك

اسْتَمرَّ نبىُّ اللهِ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يدْعُو قوْمَه مِنْ أهْلِ « عَاد » إلى تَرْك عِبادة الأصْنام ، والاتِّجاهِ إلى عِبادةِ اللهِ الواحِدِ الأَحَدِ ، الْفرْدِ الصَّمَدِ ..

لكنَّ قوْمَه لَمْ يَسْتجيبوا لهُ ، ولَمْ يُؤْمِنوا به ، بلْ سَخِروا مِنْه ، واسْتَهْزءوا بعَقْله ، واتَّهمُوهُ بأَشْياء هوَ برىءٌ مِنها ..واتَّهمُوهُ بأنَّ عقْلَهُ قدْ أصْبحَ مُخْتَلًّا ، ولهذا فهوَ يَهْذِى بِكلماتٍ لا مَعْنى لها ..



قالوا له فى سُخْرِيَةٍ :

ـ لا شَكَّ أنَّ أحَدَ آلِهتِنا قدْ مسَّكَ بِسُوءٍ يا هُود ؛ ولِذلك أصبْحَ عقْلُكَ مُخْتَلًّا ، وأصْبَحْتَ تَهْذِى بكلماتٍ لا مَعْنَى لها ، ولا حَقيقَةَ لها ، إلّا فى عَقْلِك وتفْكِيرِكَ أنت وحْدَك .. ما معْنى هذا الاسْتِغْفارِ الذى تطْلُبُه ، وتَزْعُمُ أنَّ اللهَ يُرْسِلُ علَيْنا السَّماءَ بالْمَطرِ بَعْدَهُ يا هودُ ؟!

ما هذا الكلامُ الْغريبُ يا هُود ؟!

وأَضافوا قائِلينَ فى اسْتِهْزاءٍ :

ـ وما هذا الّذى تدَّعِيهِ بأنَّ اللهَ سَوْفَ يَمُدُّنا بالمال ، ويَزيدُ فى قُوَّتِنا ، إذا اسْتَغْفَرْناهُ .. إنَّ السَّماءَ تُمْطِرُ وتَفيضُ علَيْنا بالماء ، سوَاءً اسْتغفَرْنا إلهَكَ أوْ لمْ نسْتَغْفِرْهُ يا هُود .. وإنَّ أموالَنَا وقُوَّتَنَا فى ازْدِيادٍ بِاسْتِمْرارٍ ، سَواءً اسْتَغْفَرْنا إلهَكَ أوْ لمْ نسْتَغْفِرْهُ يا هُود ..

ثم سأَلوهُ :

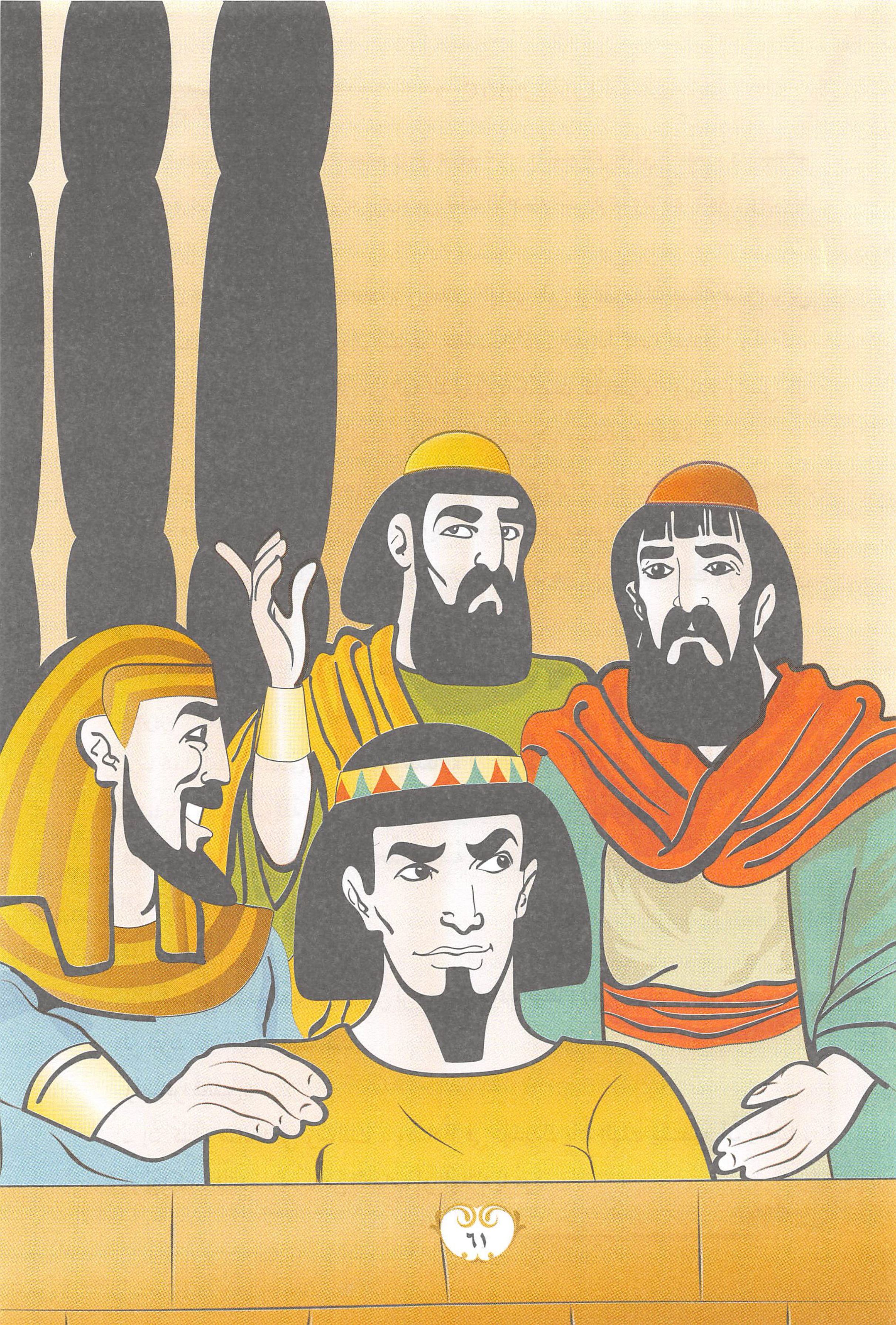
ـ ما مَعْنَى هذهِ الأَشْياءِ الْغَريبَةِ الّتى تُحَدِّثُنَا عنْها يا هُود ؟! ما مَعْنى يوْم الحِسابِ ؟!

وما معْنَى الجَنَّةِ والنَّار ؟! كيْف يُحْيينا إلهُك بعْد أنْ نَمُوتَ ، وتتحوّلَ أجْسادُنا إلى تُراب تَذْرُوهُ الرِّياحُ ويخْتَلطُ بتُراب الأرْض ؟! هيْهات .. هيْهَات يا هُود.. ما هىَ إلَّا حَياتُنا الدُّنْيَا نَمُوتُ ونَحْيَا ، ولنْ نُبْعَثَ ثانيةً ..

فقالَ لهمْ هودٌ : إنَّ هذا لا يَصِحُّ مِنْهم ، وإنَّه لا يطْلُبُ مِنهمْ على نَصِيحَتِه لهمْ أجْرًا ، ولا يطْلُبُ أنْ تكونَ له الرِّياسَةُ بيْنَهم ، أوِ الزَّعامَة علَيْهِمْ ؛ لأنَّه لا يطْلبُ الأجْرَ ، أوْ يَرْجو الثَّوابَ إلّا من اللهِ تعالى ..

وما دامَ الأَمْرُ كذلِكَ ، فلا بُدَّ أنْ يكونَ هودٌ ، هو أبْعَدَ النَّاس عن المنْفَعة أو المصْلحَةِ التى يَتَّهِمُونَه بها ، وهذا أدْعَى إلى أنْ يُصَدِّقوهُ ، ويُؤْمنوا به ..

وبرَغْمِ ذلك لمْ يُؤمنْ بهود عَلَيْهِ السَّلَامُ أو يصَدِّقْهُ سِوَى عَددٍ قليلٍ منْ قومِه ، أما الأغْلبيَّةُ فكانَتْ من الكُفَّار المُعانِدينَ ..



ولما ضاق هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بتكْذيبهم وإعْراضهمْ عَنْه ، أشْهَدَ اللهَ تَعالَى علَيْهِم ، وأشْهَدَهُم على أنَّهُ بَرِىء من كُفْرِهِمْ ، وأنَّهُ بَرِىء من تلْكَ الأصْنامِ الَّتى يَزْعمُونَ أنَّها آلِهَةٌ ، وأنَّ لها القُدْرَةَ على أنْ تَمَسَّهُ بِسُوءٍ ..

وتحدَّى هود عَلَيْهِ السَّلَامُ قوْمَ « عَاد » وتحدَّى آلِهتَهُم التى يزْعُمُونَ أنْ تَمسَّهُ بسُوءٍ ، بلْ وطلبَ مِنْهم أنْ يَكيدُوا لَهُ ، وأنْ يُسْرعوا بتَقْديم الأذَى إليه إذا كانوا صادقين ، أو كان الأَذَى فى مَقْدُورِهِمْ ؛ لأنَّه واثِقٌ مِنَ إلَهِهِ الَّذى بِيَده مَلَكُوت كلِّ شىْءٍ ، وبِيَدِه نَواصى كُلِّ العِباد ، وكلِّ ما على الأرْض منْ دَابَّة ، وأنَّهُ سوْفَ يَنْصُرهُ ، ويَمْنَعُه مِنْ أذاهُمْ ..

وأعْلم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ قوْمَه بأنَّهم إذا توَلَّوْا عنه مُعْرِضِين عَنْ قوْله ، ولمْ يسْتَمِعوا إلى نَصِيحَتِهِ ، فإنَّهُ قَدْ قام بواجِبه الَّذى كلَّفَه اللهُ إيَّاهُ .. وإنَّه أنذرهمْ إذا لم يُقْلِعوا عنْ كُفْرِهمْ ، ويؤْمِنوا باللهِ تعالى ، فإنَّ اللهَ سوْف يُهْلِكُهم ، ويأتى بقَوْمٍ غَيْرِهم ، وإنَّ هذا لنْ يضُرَّ اللهَ شيْئًا ، ولنْ يُنْقِصَ مِنْ مُلكه شيْئًا ..

فَلَمَّا هدَّدهُمْ هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وتوَعَّدهمْ بالْعَذابِ ، لَمْ يخافوا أوْ يَرْتَدِعُوا ، بلْ قالوا له ساخِرينَ :

ـ ما هذا الْعذابُ الَّذى تُهَدِّدنا وتَتَوَعَّدُنا به فى الآخرة يا هُودُ ؟! وما هذا الْهَلاكُ الَّذى تُهَدِّدنا بأنَّ إلَهك سَيوقِعُهُ بنا فى الدُّنْيا إذا لمْ نُجِبْ دَعْوَتَكَ ونعْبُدْ إلَهَك ؟!

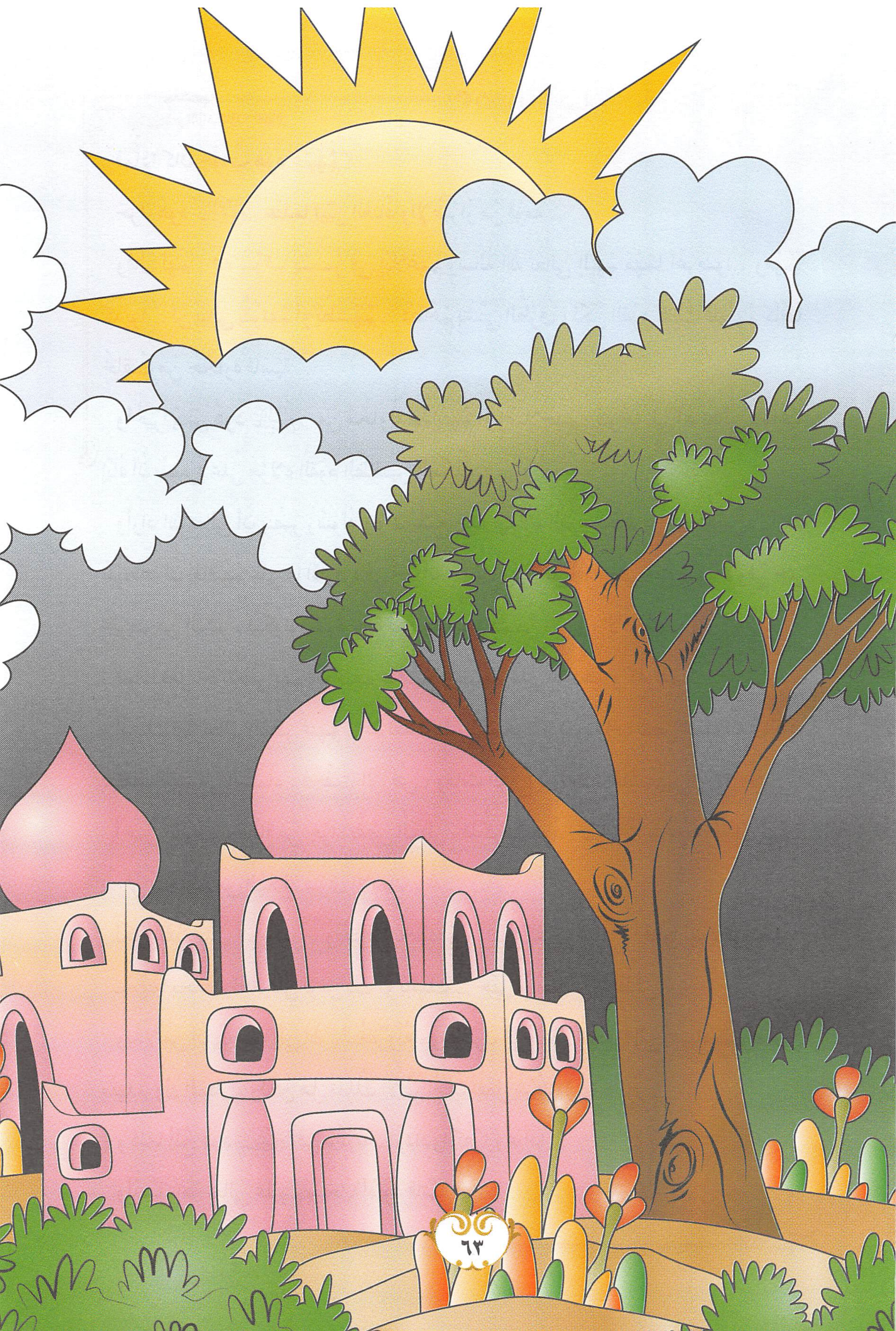
فقال لهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنَّ ما يُحَذِّرُهُمْ منْهُ هو حقٌّ لا جِدالَ فيه ، وإنَّ الهلاكَ والعَذاب واقِعٌ بِكُمْ إنْ لَمْ تؤْمِنوا ..

فقالَ له القوْمُ :

ـ لنْ نسْتَمِعَ لما تقولُهُ يا هُود ، ولَنْ نَرْجِعَ عنْ عِبادةِ آلِهتنا ، لِنعْبُدَ إلهك الذى تَزْعُمُ ..
لنْ نتْرُكَ آلِهَةَ آبائِنا ، مهْما كانَ..

وأضافوا قائلينَ :

ـ إنْ كُنْتَ صادقًا فى رِسَالتك ، وصَادِقًا فى تَهْدِيدِك بِأنَّ إلهك يسْتطيعُ أنْ يعذِّبَنا ، أو يُهْلِكَنا ، فأْتِنا بما تعِدُنا منَ الْعذابِ أوِ الهَلاكِ يا هُود ..



فماذا كانَ جوَابُ هود عليهِمْ ؟

حزِن هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ عنْدما تبيَّن العِنادُ والإصْرارُ منْ قوْمه ..

وقال لهم : إنَّه سوْف يسْتَمِرُّ فى إبْلاغِهِم رِسالَةَ الله تعالى إليْهِمْ مَهْمَا أَعْرَضوا ، ومهْمَا كذَّبوا .. لنْ يُبالِىَ بقُوَّتِهِمْ أو بَطْشِهِمْ .. دعاهُمْ بِشَتَّى الطُّرُق ، لكنَّ القوْم كانتْ قلوبُهمْ كأنَّها خُلِقَتْ منْ حِجَارة قاسِيَةٍ ..

وأخيرًا يَئِسَ هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ منْ مُحَاوَلَةِ هِدايَتِهِمْ أوْ إِصْلاحِهِمْ ، فتوَجَّهَ إلى الله تعالى ، داعيًا إيَّاهُ أَنْ يَنْصُرَهُ على هؤُلاءِ الْقَوْم الظَّالِمين الْمُكذِّبين ..

وأرادَ اللهُ تعالى أنْ ينصُرَ رسُولَهُ ، وأنْ يضعَ حدًّا لهؤلاء الْقَوْمِ الكَافرينَ الْمُكذِّبين .. أرادَ سُبْحانَه أنْ يُعَاقِبَهُمْ على ما اقْتَرَفُوهُ فى حقِّ أنْفُسِهِمْ ، وفى حَقِّ اللهِ ، وفى حقِّ نبِيِّهِمْ ، وفى حقِّ غَيْرِهم منَ الْبَشَر ، ليكُونوا عِبْرةً وآيةً لِمَن يأتى بَعْدهمْ من الأُمَم والأَقْوام ..

فماذا فعل اللهُ تعالى بِهِمْ ؟ وكَيْف عاقَبَهُمْ وعذَّبهم على عِنادِهِمْ و كفْرهم ؟

أمْسَكَ اللهُ تعالى المَطَر عنهُمْ .. لَمْ تَعُدْ تُمْطِرُ السَّماءُ كما تعوَّدوا .. نقصَ الماء الَّذى كانَ يَسْقُطُ إليْهِم مِنَ السَّماءِ ، فجفَّتِ الأَرْضُ ، وماتَ الزَّرْعُ ، ونَفَقَتْ ماشِيَتُهُمْ ..

أحسَّ القوْمُ بالمعاناة منْ جرَّاءِ نقْصِ الْمَطَرِ ، فذكَّرَهُمْ هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدَعْوته .. قال لهمْ : إنَّه لنْ يُنْجِيَكُمْ مِن الْهَلاكِ سِوى الإيمانِ باللهِ ..

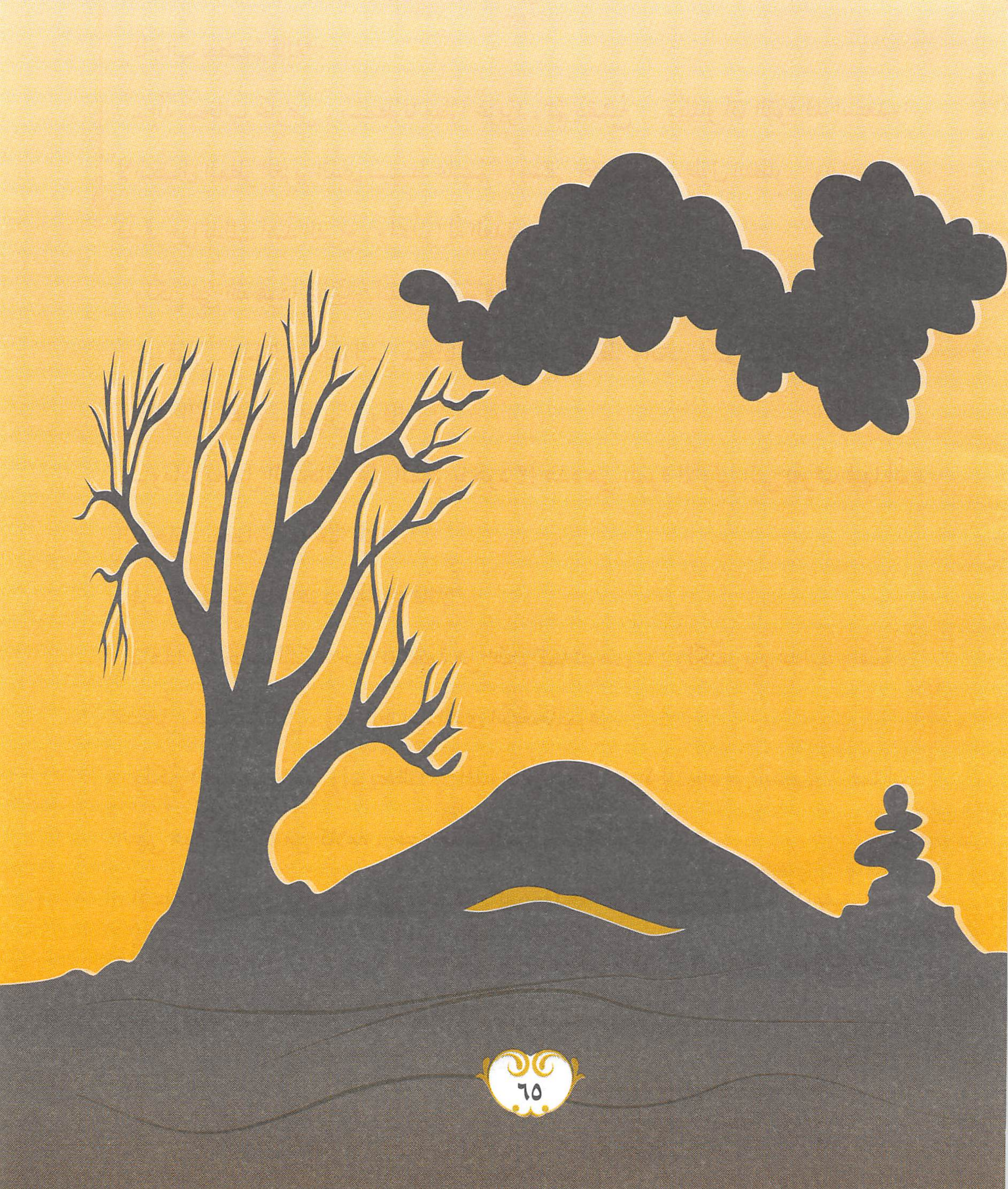
لكنَّ القوْمَ بدَل أنْ يُؤْمنوا ، ويَعْترفوا بخطَئِهِمْ ، زادوا كفرًا وعِنادًا .. قالوا لِهود فى تَحَدٍّ :

ـ مَهْما يحْدُثُ لنا ، فلنْ نؤْمِن بك أوْ بإلَهِكَ .. حتَّى لوْ مُتْنا منَ العَطَشِ ..

وبدَلًا مِنَ أنْ يتَّجهوا إلى الله يسْتَغفِرُونَهُ ، ويطْلُبونَ الرَّحْمَةَ ، اتَّجهوا إلى أصْنامِهِمْ ، طالِبين مِنها نُزُولَ المطَرِ ، ولكنْ هل تَمْلِكُ الأصْنامُ أنْ تَفْعَلَ شيْئًا ؟!

وكلَّما أَلحَّ هود عَلَيْهِ السَّلَامُ فى دَعْوَتِه ، ازْدادُوا كُفْرًا وعِنادًا ..

وأرْسل اللهُ تعالى عليْهم سَحابًا أسْوَدَ قاتِمًا ..



امْتلأتِ السَّماءُ بهذا السَّحابِ الأسْوَد .. ورأى قوْمُ « عَادٍ » السَّحاب فَراحوا يتسَاءلُونَ في دَهْشَةٍ :

ـ ما هذا السَّحابُ القَاتِمُ الَّذى يَمْلأُ السَّماءَ فوْقنا ؟!

فأجابَ بعْضُهمْ قائِلاً :

ـ إنَّهُ سَحاب عَارِضٌ ، سَيُمطِرُنا مطرًا غزيرًا ، ثمَّ يَنْقَشِعُ .. ويَبْدو أنَّ القوْمَ قد اسْتَعَدُّوا لاسْتِقْبالِ المطَرِ الْغزير الَّذى سَيَهْبِطُ عليهِمْ ، ويَسْقى حُقُولَهم بعْدَ طُولِ انْتِظَارٍ .. ويَبْدُو أنَّهمْ قدْ فرِحوا لِذلك أشَدَّ الفَرَحِ ، وأعَدُّوا لهُ العُدَّةَ ..

ولكنَّ نبيَّ الله هودًا عليه السلام أنْذرَهُمْ لِلْمَرَّةِ الأخيرة بقوْله :

ـ يا قوْم .. هذا السَّحَابُ لَيْسَ سَحَابًا عادِيًّا يحْمِلُ المطَرَ والْخيرَ لكمْ كما تَتوَهَّمُونَ ..

فنظَرَ إليْه القوْمُ ساخِرينَ ، وقالوا :

ـ وماذا يحملُ السَّحَابُ غَيْرَ المطَرِ يا هُود ؟! هذه هى المَرَّةُ الأُولَى التى نَعْرِفُ فيها أنَّ السَّحابَ يحْملُ شيْئًا غَيْرَ الماء ..

فردَّ عليهم نبيُّ الله هودٌ عليه السلام قائلًا :

ـ هذا السَّحَاب لَيْسَ رحْمَةً أو نِعْمَة منَ الله ، كما تَتوهَّمون ، ولكنَّهُ رِيحُ عذابٍ ونِقْمةٍ ، ستَحُلُّ بكمْ عمَّا قليل ، وهوَ العذَابُ الَّذى اسْتَعْجَلْتُموهُ ..

ولكنَّ القوْمَ لَمْ يُؤْمِنوا ولم يتَّعظوا .. أفْلَتُوا الفُرْصَةَ الأخيرةَ للنَّجاةِ منْ أيْديهِمْ .. فمَا أنِ انْتَهى هودٌ عليه السلام منْ كلامِهِ ، حتَّى حلَّتِ اللَّعْنَةُ الإلَهِيَّةُ بقَوْم « عَادٍ » ..

اشْتَدَّتِ الرِّيحُ وزمْجرتْ بصُورةٍ مُخيفةٍ ، لمْ يعْهَدها القوْمُ منْ قبلُ .. وقبْلَ أنْ يفيقَ القوْمُ منْ ذُهُولهمْ بدأتِ الرِّياحُ القويَّةُ تَحْمِل كلَّ شيْءٍ ، وتُلْقِى به فى أمَاكِنَ بَعيدَةٍ ..قذفَتِ الرِّياحُ بالنَّاسِ والدَّوابِّ والأشْجار والصُّخور والرِّمالِ ، وكُلِّ شَيْءٍ ..



وأسْرعَ القوْمُ الظّالمون إلى بُيُوتهمْ يَحْتَمُونَ بها ، ظنًّا منْهُمْ أنّها ستَمْنَعُ عَنْهُمْ عذابَ الله .. ولكنّ الوقْتَ كان قدْ فاتَ .. كانَت الرّيحُ تَحْمِلُ الرّمالَ والصُّخورَ وتَقْذفُ بها داخلَ البُيُوتِ ..

واسْتمرَّ عذابُ الله مُسَلَّطًا فى هذه الرّياحِ القويّةِ مُدّةَ سبْع ليالٍ وثَمانيَة أيّامٍ حُسُومًا ، أىْ مُتوالِيَةً .. فأهْلك اللهُ تعالى جميعَ الكافِرينَ منْ قوْم « عَادٍ » وأبَادَهُمْ مِنَ الحياةِ ، حتّى صَاروا مِثْلَ أَعْجازِ النّخْلِ الْجَافّةِ الْخَاوِيَةِ مِنَ الدَّاخِلِ ..

أمّا نبىُّ الله هودٌ عليه السلام فقدْ نَجّاه اللهُ تعالى ، هُوَ والْقِلّة المؤمِنَة التى كانَتْ مَعَهُ ، حتّى هدأَتِ الرّيحُ وانْتَهى عذابُ الله ، فعَادوا لِمُمَارسَةِ الْحَياةِ وقدْ أوْرثهُمُ اللهُ مُلْكَ الظّالمينَ المُعانِدين ..

ويُقَال : إنّ نبىّ الله هودًا عليه السلام قدْ رحل إلى بِلادِ حَضْرَمَوْتٍ بعْدَ هَلاكِ قوْمِ « عَادٍ » وعاشَ بها ، إلى أنْ تَوَفَّاهُ اللهُ ، فَدُفِنَ هُناكَ ..

تمّتْ





قصص الأنبياء

صالح عليه السلام



أهلكَ اللهُ تعالى قوْمَ « عَادٍ » بكُفرهِم وعِنادهْم وعِصْيانهم نبيَّهم هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

ثم أوْرثَ اللهُ تعالى أرْضَ « عَادٍ » وديارَهم لِقوْمٍ آخرينَ ، همْ قومُ « ثمُود » ..

فعمَّرَ أهلُ « ثمُود » الدِّيارَ ، وفجَّروا الْعُيُون ، وغَرَسوا الْحدائقَ والبساتِينَ ، ونَحتوا لهمْ مِنَ الجبالِ بُيُوتًا ، فعَاشوا فى أمَانٍ منْ نَوائبِ الدَّهْر ، وتقلُّبات الزَّمان ..

وزاد الله تعالى قوْمَ « ثمُود » نِعَمًا على نِعَم ، فوسَّع لهُمْ فى أسْبابِ الْعَيشِ ، وفتحَ لهمْ أبْوَاب الرِّزْق ، وسهَّل لهمْ سُبُل الحياةِ .. ومدَّ لهمْ فى أعْمارهمْ ..

فَكَيْف قابَلَ قومُ « ثمُود » نِعَمَ اللهِ تعالى عليْهم ؟

هلْ حَمِدوا اللهَ وشكَرُوه ، أَمْ أنَّهمْ جَحدوه ؟

هلْ عَبَدوا اللهَ ووحّدُوه ، أمْ أنهمْ أشْرَكوا مَعَه فى العبادةِ ، وكَفَروا ؟

لقدْ قابلَ قوْمُ « ثمُودَ » كلَّ هذه النِّعم بالْجُحُود والإنْكارِ .. لمْ يعْبدوا الله وحْدَه ، ولمْ يَشْكُرُوا نِعَمَه وفضْلَه .. عَبدوا الأصْنامَ والأوْثانَ ، وأشْركوا به ، وأعْرَضوا عنْ ذِكْرِه ..

بَعُدوا عنْ طريق الحقِّ والهِداية ، واتَّجهوا إلى طَرِيقِ الضَّلال والْغِوايَةِ ..

أفْسَدوا فى الأرضِ ، واعْتدَى القوِىُّ مِنهمْ على الضَّعيفِ ، وسَلَبَه حُقُوقَه ..

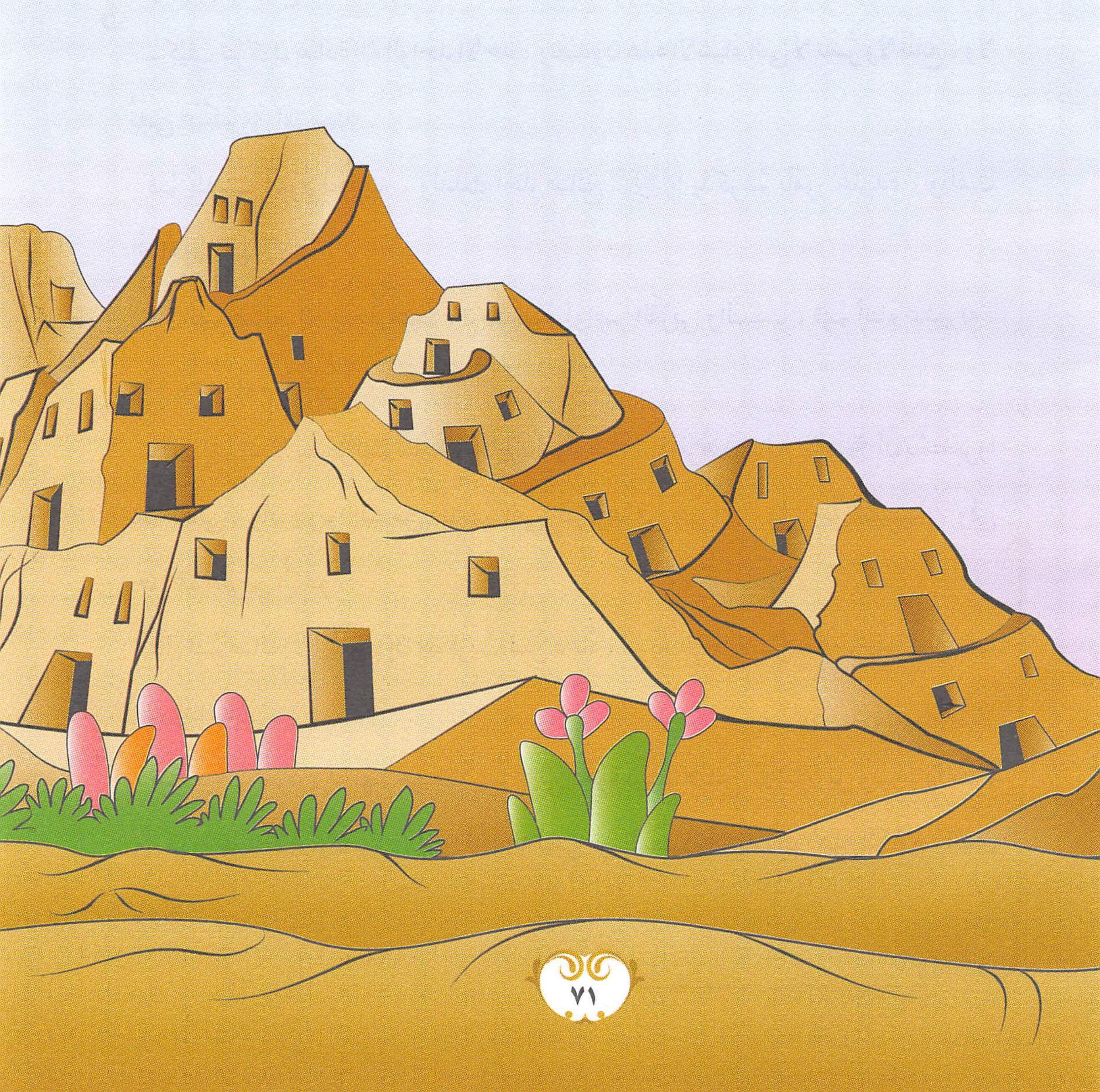
اسْتكْبَروا وظَنُّوا أنهمْ خالدونَ فى هذا النَّعيمِ ، وأنَّ الله تعالى غافِلٌ عنْ حِسابهِمْ وعِقَابهِمْ ..

ظَنُّوا أنَّ بيُوتهمْ وحُصُونَهمْ ستمْنَعُهمْ منَ اللهِ تعالى ..

وأرادَ اللهُ تعالى أنْ يُخْرِجَ قوْمَ « ثمُود » منَ الظُّلُمات إلى النُّور ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الظُّلْم إلى العَدْل ، فاخْتارَ منهُمْ رجُلًا صالِحًا ، وأرْسَلَهُ إليْهم ..

كانَ هذا الرَّجُلُ الذى اخْتارهُ اللهُ تعالى ، ليُرْسِلَه برِسالَته إلى قوْمِ « ثمودَ » .. هو نَبىُّ الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

كانَ صالح وَاحدًا منْ قوم « ثمودَ » وكانَ منْ أشْرَفهم نَسَبًا ، وأكْثَرِهم حِلْمًا ، وأصْفاهمْ عَقْلًا ، وأطْهَرِهم قلْبًا ، وأشَدِّهمْ صلاحًا وخوْفًا منَ الله تعالى .. ولَهذا اخْتارَهُ اللهُ لِهدايتهمْ ..



ذهبَ نبيُّ اللهِ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قَوْمِه ، وقال لهمْ إنَّ اللهَ تعالى قدْ أرْسَلهُ إليهمْ برِسالَتِه ..

دعَا صالح قوْمَهُ إلى تَرْكِ الإشْراك باللهِ ، وإلى عِبادَةِ اللهِ وحْدَهُ ، وتوْحيدِهِ ..

قال لهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وحْدَه ، ولا تُشْركوا به شيْئًا .. اعْبُدُوا اللهَ الذى خَلقكمْ منْ تُرَابٍ ، وأعْطاكُمُ الكثيرَ مِنَ النِّعَم ..

وقالَ لهمْ صالح :

ـ كيْفَ تَتْرُكون عبادة اللهِ الواحدِ الأحَد ، وتعْبُدون هذه الأشْياءَ التى لا تضرُّ ولا تَنْفَعُ ، ولا تُغْنى عَنْكمْ مِنَ اللهِ شيئًا ..

فلمْ يُنْصِت القَوْمُ لِحَديثه ، ولذلك أخذَ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكِّرُهمْ بأمُورٍ عَدِيدَةٍ ، ويَلْفتُ انْتِباههمْ إليْها ..

قال لهمْ صالح إنّه واحدٌ مِنهمْ ، تَربُطه بهمْ أواصِرُ القُرْبَى والنَّسَبِ ، فهمْ أبناء عشِيرتهِ ، وهو يُحبُّ لهمُ الخَيْرَ ..

وقالَ لهمْ إنه لا يُضْمِرُ لهمْ سُوءًا ، ولا يريدُ بهمْ شرًّا .. وأمرهُم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يسْتَغْفِروا اللهَ تعالى ، وأنْ يَتُوبوا إليْهِ من ذُنُوبهمُ الَّتى اقْترَفوهَا فى حقِّ اللهِ ، وفى حقِّ أنْفُسِهمْ ، وفى حقِّ غَيْرهم منَ الْبَشَر ..

قال لهمْ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنَّ اللهَ قريبٌ لمنْ دَعَاهُ ، سرِيعُ الإجابَةِ لمنْ سَألهُ ، غفَّارٌ لمنْ تابَ إليْه وأنابَ ..

صَمَّ قوْمُ « ثمُودَ » آذانَهُمْ عنِ الاسْتِماعِ إلى دَعْوَة نبيِّهمْ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بلْ وَسَخِروا منْه ، وأنَكَروا عليْه أنْ يكونَ نَبيًّا .. قالوا له : إنه ليس من المعقول أن يصدِّقوا هذا الكلَام ، الذى يقولُهُ ..



قالوا لِصالح عليه السلام :

ـ يا صالحُ ، لقدْ عهِدْناك راجِحَ العَقْل ، ثاقِبَ الْفِكْر ، فاعلًا للْخَيْر ، فَكَيْفَ تَنْهانا أنْ نعْبُدَ ما كانَ يعْبُدُ آباؤنا وأجدادُنا ؟! إنَّنا فى شكٍّ مما تدْعونا إليْهِ مُرِيبٍ .. لنْ نَتْرُكَ آلهتَنا ، لنعْبُدَ إلَهَكَ ..

فقال لهمْ صالح : إنه لا يطْلبُ منهمْ أجْرًا ، ولا يريدُ أن يكونَ زعيمًا أو رئيسًا عليْهمْ فى مُقَابِل دعْوته لهمْ ؛ لأنَّ جزاءهُ منَ اللهِ تعالى ..

وبرَغْمِ ذلك ، فلمْ يؤْمِنْ بصالح إلَّا قِلَّةٌ من الفقراءِ ، والضُّعفَاء .. أمَّا الأغنياءُ والرُّؤَساءُ مِنْ عِلْيَةِ القَوْم ، فلمْ يؤْمِنوا برِسالَتِه ، بلْ سَخِروا منْ صالح ، قالوا لهُ :

ـ ما أنتَ إلَّا بَشَرٌ مثْلُنا .. أنْتَ لسْتَ أغْنانا ولا أفضَلنَا .. إنَّ فينا مَنْ هو أكثرُ غِنًى وقوَّةً وأحقُّ بأنْ يكونَ نبيًّا مِنْكَ .. يجبُ أنْ تَكُفَّ عنْ دعْوَتِك وتعودَ لِعبادة آلِهتِنا ..

فقال لهمْ صالح عليه السلام :

ـ إنِّى على يَقينٍ منْ ربِّى ، وقدْ آتانى رحْمَةً مِنْهُ ..كيف أُنْصتُ إلى غِوايَتِكُمْ ، وأعْصِى ربِّى ؟! إنَّنى إنْ فعَلْتُ ذلك ، فمَنْ يمنعُ عنِّى عذاب الله وعِقَابَهُ لى ؟!

ما أنتمْ إلَّا قومٌ مُفْتَرُونَ ..

فلمّا رأى رُؤساءُ الْقَوْمِ الْتِفافَ الفُقَراء والضِّعاف حَوْل صالح ، وتصديقَهُمْ له ، خَافوا أنْ ينصَرِفَ الضُّعفاءُ عن طاعتهمْ ، فَيزُولَ سُلْطانهمْ ، وتضيعَ سَطْوَتُهُمْ وهَيْبَتُهُمْ ..

ولذلكَ فكَّروا فى حِيلةٍ يُحْرجونَ بها صالِحًا أمَامَ أتْباعِه .. طلبوا منْ صالح أنْ يأتِيَهُمْ بمُعْجزةٍ تُثْبتُ لهمْ أنَّه نبىّ .. فلمّا طلبوا منْ صالح أنْ يأتيَهُم بهذه الْمُعْجِزة ، دعَا صالح ربَّهُ أنْ يُؤَيِّدَهُ بهذه المعجزة ..

واسْتجابَ اللهُ تعالى دُعاءَ نَبِيِّه صالح عليه السلام فأخْرجَ لِقوْم « ثمودَ » ناقةً منْ صُخُور الْجَبَل .. ناقةً باهِرَةً لمْ ير القَوْمُ مِثْلَها منْ قبلُ ..





وكانتِ النَّاقةُ المعجزةُ سَببًا فى إيمانِ الكثيرينَ مِن الضُّعَفاءِ بصالح ، والتِفافِهِمْ حوْلَهُ ..

وخاطبَ صالح قوْمَه ، قائلًا لهمْ :

ـ إنَّ هذه ناقةُ اللهِ ، وطلبَ منهمْ أنْ يتركوها تأكُلُ وتشْربُ فى أرْضِ الله ، وحذَّرَهُمْ أنْ يَمَسُّوا النَّاقةَ بِسُوءٍ ، حتى لا يَحُلَّ عليْهمْ غضَبُ اللهِ وعِقَابُهُ ..

وكانَ لِقوْمِ « ثمُودَ » بئرٌ أوْ عيْنُ ماءٍ يشْربونَ منها ويَسْقُونَ دوابَّهُمْ ومواشِيَهُم ، فقَسَمَ صالح الماءَ قِسْمةً عادِلةً بيْنَ القوْمِ والنَّاقةِ ..

جعل صالح القوْمَ يشْربون من عْين الماءِ يوْمًا ، والنَّاقةُ تشْرَب فى اليْوم التَّالى .. وفى اليْوم الذى لا يشْرَبُ فيهِ القَوْمُ يَحْلُبون النَّاقةَ ، ويشْرَبون لبَنَها ، بَدَلَ الماءِ ، الذى تشْربُه النَّاقةُ المعجزةُ ..

ورأى الكفَّار والمُعانِدون زيادة أتْباع صالح ، والْتِفافَهُمْ حوْله بسبَب هذه النَّاقةِ المعْجِزةِ ، التى طالبوه أنْ يأتِيَهُمْ بها ليُحْرجُوهُ أمامَ أتْباعِهِ ..

ولذلك اجْتمع زُعماءُ الكفَّارِ وفكَّروا ، فقال أحَدُهمْ :

ـ هذه النَّاقةُ كانتْ سَببًا فى إحْراجِ مرْكزِنا ، وتقوِيةِ مرْكَز صالح أمامَ أتْباعِه والْمؤمنين بهِ .. وقال آخرُ :

ـ لابُدَّ أنْ نتخلَّصَ منْ هذه النَّاقةِ ، حتى نقْضِىَ على أُسْطورَةِ صالح إلى الأَبدِ .. اقْتُلُوا هذه النَّاقَةَ .. اقْتُلوها .. اقْتُلوها ..

فقال ثالِثُ :

ـ كيْفَ نَقْتُلُ النَّاقةَ ، وقدْ حذَّرَنا صالح بِوُقوعِ الْعذَاب بنا ، إذا نحْنُ مَسَسْناها بِسُوءٍ ؟! فما بالُكم لوْ قتَلْناها !



فضحِكَ القوْمُ ساخرينَ ، وقال كَبيرُهمْ :

ـ هلْ صدَّقْتُمْ ماخوَّفكُمْ به صالح .. سنَقْتُلُ النَّاقةَ ، ولنْ نعْبأَ بصالح ، أو بتَهْديدَاتِه ..

وهكذا أَجْمعَ الكُفَّارُ على قتْلِ النَّاقةِ ..

وبحثَ الكُفَّارُ بيْنَ أَتْباعِهم من الْمُجْرمين والأَشْقِياء عَمَّنْ يُوكِلُونَ إلَيْه قَتْلَ النَّاقةِ المعجِزةِ .. وعَثروا على أشْقَى أشْقِياءِ المدِينَةِ .. كانوا سَبعَةَ أشْخاصٍ ، فأخذَ الكُفَّارُ يُغْرُونهم بالمال ، حتى وافقوا على قتْلِ النَّاقةِ المعجزةِ ..

كَمَنَ الأَشرارُ للنَّاقةِ وهى فى طَريقِها إلى عيْنَ المَاءِ لتَشْرَبَ ، وعقَرُوها .. ذَبحُوها .. ذَبحُوا المعجِزة ..

وكانَ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حَذَّرَهمْ منْ وقُوع عذابِ الله بهمْ إذا عَقَروا النَّاقةَ .. ولَمْ يكْتَفِ الكُفَّارُ بقتْلِ النَّاقةِ ، بل ذهبوا إلى صالح ، سَاخِرين ومُسْتَخِفِّينَ بِوَعيدِه وتهْدِيدِه لهُمْ ، فقالوا لهُ :

ـ لقدْ خوَّفتَنا وهدَّدْتَنا بِوُقوعِ الْعذابِ بنا ، إذا نحنُ مَسَسْنَا ناقَتَكَ بِسُوءٍ .. لقدْ عقرْنا ناقَتَكَ ، ولَمْ يَحْدُثْ لنا أىُّ شىْءٍ .. إذا كُنتَ حقًّا نبيًّا كما تزْعُمُ ، فأْتِنا بالعذاب الذى كُنْتَ تعِدُنا ..

فردَّ عليهمْ نبىُّ الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلًا :

ـ لقد حذَّرْتكمْ وأنْذَرْتكم ، لكنكمْ لم تسْتَمِعوا إلى نُصْحِى ، أو تعْملوا بتَحْذِيرى .. يا قوْم لقدْ أوْحى اللهُ تعالى إلىَّ أنَّ العذابَ سوْف يَحُلُّ بكمْ بعْد ثلاثةِ أيَّام منَ الآن .. تمتَّعُوا فى دُورِكُمْ ثلاثَةَ أيَّام ، ثمَّ يأْتيكُمْ بعْدَها العذابُ ، ويحلُّ عليْكُمْ فى نِهايَتِها العِقابُ .. ذلك وعْدٌ منَ الله صادقٌ وغيرُ مَكْذوبٍ ..





أَنْذَرهمْ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وحدَّدَ لهمْ هذا الموْعِد لِوقُوع عذابِ اللهِ بهمْ ، ربما كانَ يُريدُ أنْ يُعْطِيَهُمْ فُرْصةً لِيثُوبوا إلى رُشْدِهمْ ، ويندَموا على كُفْرهمْ ، ويتوبوا إلى الله عَمَّا بدَرَ منْهم .. لَكِنهَّمْ ظلُّوا على كُفرهم .. كانوا يَظُنُّون أنَّ وَعيدَ صالح لهمْ كاذِبٌ ..

وبدلَ التوْبةِ طلَبوا مِن صالح أنْ يُعَجِّلَ لهُمُ العَذَاب الذى حذَّرهمْ مِنه .. وردَّ صالح عليهم ردًّا حليمًا ، فقالَ لهمْ :

ـ يا قَوْم لِمَ تسْتَعْجِلوُنَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَة ؟!

فقال الكُفَّارُ لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ لقدْ تشاءَمْنا بِكَ ، وبمنْ معَك مِنَ المؤْمنين .. وقرَّرَ الكُفَّارُ قتْلَ صالح ، ليتخَلَّصوا مِنْهُ ومنْ دَعْوَته إلى الأبَدِ .. ولكنَّ اللهَ تعالى نَجَّى نبيَّهُ والمؤمنِين به ، وأرْسَلَ على الكافِرينَ صاعِقةً ، فأهْلكَتْهُمْ جميعًا ..

ورأى صالح ما حلَّ بقَوْمِه ، رأى جُثَثَهُم الْهَامدَةَ ، وديَارَهُم الخَرِبة ، فتولَّى والْحُزْنُ يَمْلأُ نَفْسَه ، وقال :

ـ لقدْ أبْلَغْتُكمْ رِسالةَ ربِّى ، ونصَحْتُ لكمْ ، ولكِنّكُمْ كنْتُمْ لا تُحِبُّون النَّاصِحين ..

تمَّـــتْ




قصص الأنبياء

إبراهيم عليه السلام





نشأته

كانتْ مَمْلكةُ (بابِلَ) مَمْلكةً كبيرةً ، واسِعَةَ الأَرْجاءِ مُمْتدَّةَ الأَطْرافِ .. وكانتْ مَمْلكةً من المَمالِك التى أنْعمَ اللهُ تعالَى على أهْلِها بِنعَمٍ كَثيرة ، لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ..

وكانَ أهْلُ (بابلَ) يعيشونَ فى رَخاءٍ ، وَرَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ .. فقدْ حباهُمُ اللهُ أنْهارًا مِنَ المِيَاهِ الْعَذْبَةِ وأَرْضًا خِصْبةً طَيِّبَةً ، صَالِحَةً للزِّراعَةِ ..

ولذلكَ كانَتِ الْحدائقُ والْبَساتينُ الْمُثْمِرَة بِمُخْتَلفِ أَنْواعِ الْفاكِهة ، مُنْتشِرَة فى كُلِّ مكانٍ مِنْ أَرْضِ الْمَمْلكةِ الْمُتَرامِيَةِ الأَطْراف ..

وكانتْ حَدائقُ بابلَ الْمُعَلَّقَةُ يُضْرَبُ بِها الْمَثَل فى الرَّوْعَةِ والْجمال والتَّنْسِيق ، لِدرجَةِ أنَّ النَّاس فى زَمَانِها قد اعْتَبَروا هذه الْحدَائقَ الْمُعَلَّقَةَ عجِيبَة مِنْ عَجائِبِ الدُّنْيا السَّبْع ..

وبرغْم هذه النِّعَم الكثيرةِ ، الَّتى كانَ أَهْلُ (بابلَ) يَنْعَمُونَ بِها ، فقدْ عاشوا يتَخَبَّطونَ فى ظُلُماتِ الْجَهْلِ والضَّلالِ ، والشِّرْك وعِبادَةِ الأَوْثان ..

لقدْ نحتَ أَهْلُ (بابل) الأَصْنامَ والتَّماثِيل بأَيْديهِمْ منَ الْخَشَب والْحِجارَة ، وجعَلوا مِنْها أرْبابًا وآلِهةً ، فعبَدُوها مِنْ دُونِ اللهِ ، الذى أَنْعم عليْهم بكُلِّ هذه النِّعَم الظَّاهِرَةِ والْبَاطِنَةِ ..

وكان يَحْكُمُ مَمْلكة (بابلَ) فى ذلك الْوَقْتِ حاكِمٌ جبَّارٌ مُسْتَبِدٌّ ، هو (نُمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ) ..

فلمَّا رأى (نُمْرُودُ) ما يتمتَّعُ به مِنْ قُوَّةٍ وسُلْطان ، وما يتقلَّبُ فيه مِنْ النَعيم ، وَرَغَدِ الْعَيْش ، وما يُسَيْطِرُ على قَوْمِه منَ الْجَهْل والظَّلامِ ، وعِبادَةِ الأَوْثان ، أَقامَ نَفْسَهُ إلَهًا على قَوْمِهِ ، وأَمَر النَّاسَ بِعبادَتِه ..

أَمَرَ النَّاس أنْ يعْبُدوهُ منْ دُون اللهِ .. وكان أهْلُ (بابلَ) يَعْبدونَ أَشْياء أُخْرَى مثْلَ الشَّمْسِ والْقَمرِ والنُّجوم والكواكِبِ وغَيْرِها منَ الْمَخْلُوقاتِ ..

فلِمَاذا لا يَعْبُدُونَهُ ، وهمْ يعْبُدون الأَصْنامَ والتَّماثِيلَ ، التى يَصْنعونها بأَيْديهم منَ الْحجارَةِ والأَخْشاب ؟!





إِنَّهُمْ يَعْبُدون الأَصْنامَ ، مع أنَّها لا تَسْمَعُ ولا تَرى أو تَعْقِلُ .. لا تَضُرُّ أوْ تَنْفعُ .. أمَّا هو فيَرى ويسْمَع ، ويَنْطقُ ويفكِّرُ .. وهو أيْضًا يسْتطيعُ أنْ يَضُرَّ وينْفَعَ .. يسْتطيعُ أنْ يجعَل الْفقيرَ منْهم غنيًّا بأنْ يُعطِيَهُ أمْوالًا .. وأَن يجْعَل الغَنِيَّ فقيرًا ، بأنْ يأْخُذَ مِنه أمْوالَهُ ..

وهو أيْضًا يستطيعُ أنْ يُعِزَّ مَنْ يشاءُ ، فيُقرِّبَه منه ، ويجْعَلَ النَّاسَ يحْترمُونَهُ ، ويسْتطيعُ أنْ يُذلَّ منْ يشَاء ، فَيَخْفِضَهُ ، أوْ يَسْجِنه ، ويَجْعَلَ النَّاسَ يحْتَقرونَهُ ..

إذَنْ فَنُمْرودُ هوَ وحْدَهُ صاحِبُ الْقُوَّة والسُّلطان ، وصاحِبُ الأمْر والنَّهى ، ولذلك جعلَ نَفْسه إلَهًا ، وفرضَ على النَّاسِ أنْ يعْبُدوه مِنْ دون الله ، ومَنْ خالَفَ ذلك قتَلَهُ ، أوِ انْتَقَمَ مِنْه وجعلهُ عِبْرَةً لِغَيْرِه ..

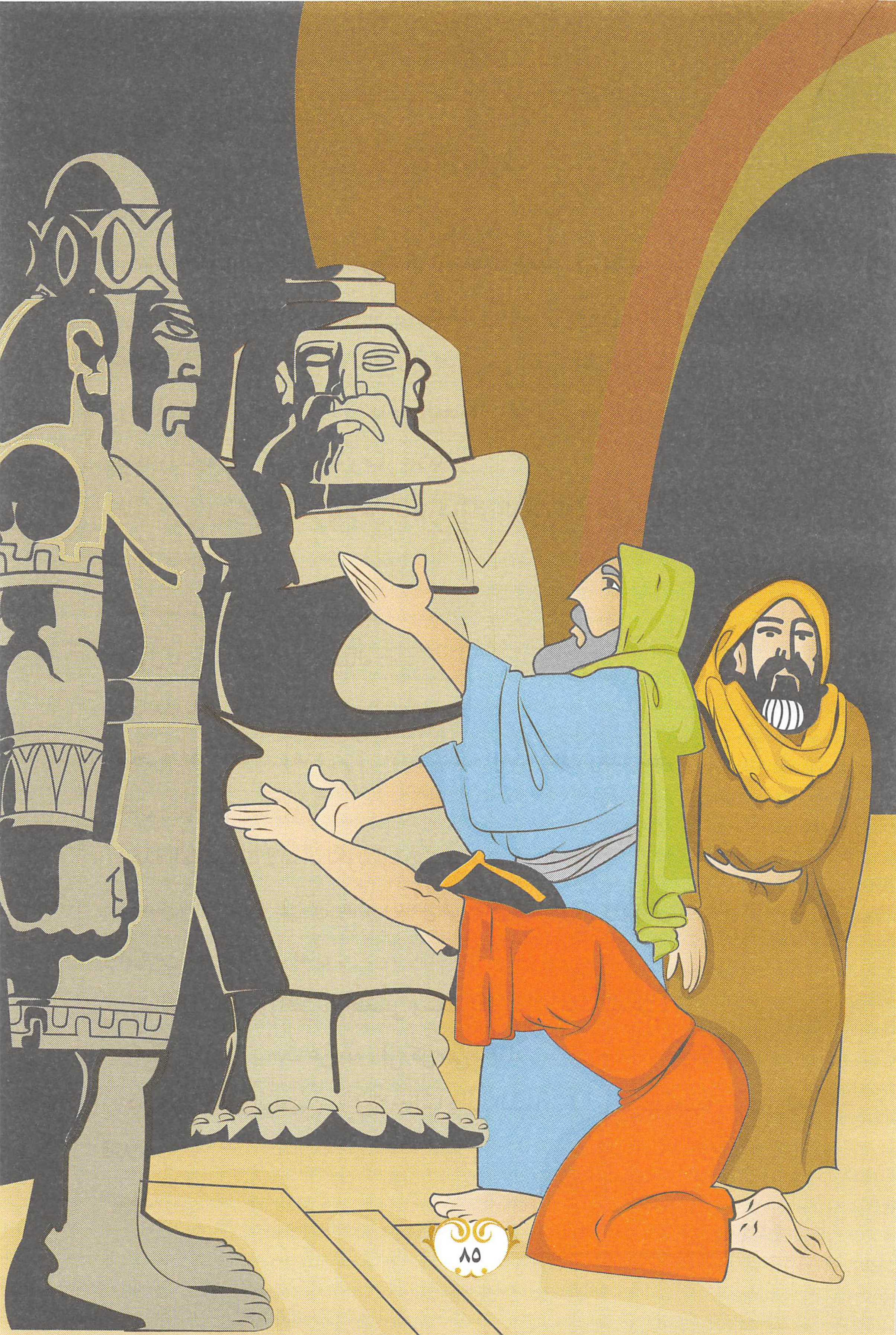
وسطَ هذه الْبيئةِ التى يَعيشُ أهْلُها فى ظُلُماتِ الْجَهْلِ والضَّلالِ ، وُلِدَ نَبِىُّ اللهِ (إبْراهيمُ) ، خليلُ الرَّحْمَنِ عليه السلام .. وُلِدَ فى بلْدَةٍ تابعَةٍ لِمَمْلكةِ (بابلَ) الْمُمْتدَّةِ الأرْجاءِ ..

وكان (آزرُ) والِدُ (إبْراهيم) نجّارًا يصْنَعُ التَّماثيلَ منَ الْخشبِ ويَبيعُها لِقوْمِه ليعْبُدوها ، وكان (آزرُ) يعيشُ هو وأُسْرَتُه مِنْ بَيْع التَّماثيلِ ..

ويقال : إنَّهُ قبْلَ وِلادةِ (إبْراهيم) عليه السلام ذهب السَّحرةُ والْمُنجمون إلى الطَّاغِيةِ (نُمْرُود) وقالوا لهُ :

ـ إنَّنا نَجِدُ فى عِلْمِنا أنَّه سَوْفَ يُولدُ فى مَمْلكتِكَ غُلامٌ ، سيكونُ اسْمُهُ (إبْراهيم) .. وأنَّ هذا الْغُلامَ سوْفَ يكونُ لهُ شأْنٌ ، لكنَّهُ لنْ يتْبَعَ دينَكَ ، وسوْفَ يُحطِّمُ أصْنامَكُمْ ، ويُكَسِّرُ أوْثانكم .. وأنَّ ميلادَهُ سوْفَ يكونُ فى شَهْرِ كذا ، وفى سَنة كذا ..

ويُقالُ : إنَّ (نُمْرود) لمَّا حلَّتِ السَّنةُ والشَّهْرُ الذى حدَّده له الْمُنَجِّمُونَ ، أَمَر بِجمْع النِّساءِ الحَوامِلِ ، واللائى سَيحِينُ مَوْعِدُ وَضْعِهنَّ فى ذلك الشَّهرِ ، وحبَسَهُنَّ ، فَمَنْ وضَعَتْ مِنْهنَّ وَلَدًا أمر بِقتْلِه ، لَكنَّه لَمْ يعْلَمْ بِحمْلِ والِدَةِ (إبْراهيمَ) ..



فلمَّا أحسَّتْ والدةُ (إبْراهيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بآلامِ الْوَضْعِ ، تسَلَّلَتْ مِنْ بيْتِها ليْلًا ، ودخلتْ مَغَارةً قريبَةً مِنْ بيْتِها ..

وهناكَ وضعَتْ (إبْراهيمَ) ، وبَعْدَ أنْ أرْضعَتْهُ ، غطَّتْهُ ، ثمَّ سدَّتْ عليْه بابَ الْمَغارة ، وتركَتْهُ هناك فى رعايَةِ اللهِ ، وعادتْ إلى بيْتِها .. وكانتْ تزورُهُ بيْنَ الْحينِ والآخر ، فتُرْضِعُهُ وتطْمَئِنُّ عليْه .. وبهذا نَجَّى اللهُ تعالى (إبْراهيم) مِنَ الْقَتْل ، على يَدِ (نُمْرُود) ..

وهكذا كَبر (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ داخِلَ الْمَغارةِ ، وهو لَمْ يَرَ مِنَ الدُّنْيا شيْئًا ، وأنَّ اللهَ كانَ يُطْعِمُهُ ويَسْقِيه وأنَّه كَبر بسُرْعةٍ وصارَ غُلامًا ..

فلمَّا خرجَ (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَغارةِ ورأى الْمَخْلوقات على الأَرْضِ راح يَسْأَلُ أَبَاه عنْ كُلِّ ما يراهُ ..

ـ مَا هذا يا أَبى ؟!

فيقولُ له : هذا حِصَان .. ويسْأَلُه :

ـ مَا هذا يا أَبى ؟

فيُخْبِرُهُ : هذا بَعيرٌ .. وهذه بَقَرةٌ .. وهذا كَلْبٌ ،وهذه شاةٌ ، وهذه شجَرَةٌ ..

فقال (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ هذه الْمَخْلوقاتُ لابُدَّ أنْ يكونَ لها رَبٌّ قدْ خلقَها ..

وجلسَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفكِّرُ ويتأمَّلُ فى خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ ، وخلقِ الإِنْسانِ وغَيْرِه منَ الْمَخْلوقاتِ ، فقال :

ـ إنَّ الذى خَلَقنى ورزَقنى ، وأطْعَمنى وسَقانى هو رَبِّى .. ما لِىَ إلَهٌ غيْرُهُ .

وراحَ (إبْراهيم) يبْحَثُ عنْ رَبِّه ، فى كُلِّ شَىْءٍ حَوْلَهُ ..

وذاتَ ليْلةٍ كان (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ جالسًا يتأمَّلُ السَّماءَ ، فرأى كَوْكَبًا مُضيئًا ، فأشارَ إلَيْه قائلًا :

ـ هذا رَبِّى ..





وأخذَ يُتابِعُ الْكَوْكَبَ بِنظَراتِه ، حتَّى غابَ الكَوْكَبُ واخْتَفى مِنَ السَّماءِ ، فقالَ (إبْراهيمُ) :

ـ لا .. هذا لَيْسَ رَبِّى .. إنَّ رَبِّى لا يَغيبُ ، وهذا الكَوْكَبُ يَأْفُلُ ويَغيبُ ..

وبعْد قليلٍ سطعَ الْقمرُ فى السَّماءِ ، وأَضاءَ بِنُورِه الْفِضِّىّ ، فنظرَ إلَيْه (إبْراهيمُ) وقالَ :

ـ هذا رَبِّى ..

وأخذَ يتأمَّلُ الْقمَر ، ظنًّا مِنْهُ أنَّه رَبُّه ، حتَّى غَابَ الْقَمرُ فى آخِرِ اللَّيْلِ واخْتفى مِنَ السَّماءِ ، فقالَ (إبْراهيمُ) :

ـ لا .. هذا لَيْسَ رَبِّى .. إنَّ رَبِّى لا يَغيبُ ، وهذا الْقَمر يَأْفُلُ ويَغيبُ .. لئِنْ لَمْ يَهْدِنى ربِّى لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ..

فلمَّا انْقضَى اللَّيْلُ ، وطَلعَ النَّهارُ ، أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، فرآهَا (إبْراهيمُ) أَكْبَر وأَكْثَرَ نُورًا مِن الكَوْكَبِ و الْقمر ، وأعْظَمَ منْ كُلِّ شَىْء رَآهُ قبْلَ ذلك ، ولِذلك أشارَ إلَيْها قائِلًا :

ـ هذا رَبِّى .. هذا أَكْبَرُ ..

وظَلَّ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يُتابعُ الشَّمْسَ طَوالَ النَّهارِ ، حتَّى غابَتْ وقْتَ الْغُرُوب وتوارَتْ عَنِ الأَنْظارِ ..

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ يا قَوْمِ إنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ .. إنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذى فَطَرَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ حَنيفًا ، ومَا أنَا مِنَ الْمُشركينَ ..

هكَذا أعْلَن (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ براءَتَهُ مِنَ الأَشْياء الَّتى يَعْبُدُها قَوْمُه ، مِثْلَ النُّجوم والْكواكِب ، والشَّمْسِ والْقَمر ، والأَصْنامِ ، والتَّماثيلِ ، وغَيْرِها ، وعرَف أنَّ ربَّهُ هوَ اللهُ ، الذى خلقَ الْخَلْق جميعًا ، وبِيدِهِ تَدْبيرُ أُمُورِهم ، فآمَنَ به وَحْدَهُ ، ولَمْ يُشْرِكْ به شَيْئًا ..



وكانَ (آزرُ) يَنْحت الأَصْنامَ ، ويُعْطيها لـ (إبْراهيم) وإخْوَته ، كَىْ يبيعُوهَا لِقَوْمهم .. فكانَ (إبْراهيمُ) يَصِيحُ علَى الأصْنام ، سَاخِرًا مِنْها بقَوْله :

ـ مَنْ يشْترى هذه الأَصْنامَ ، التى لَا تضُرُّه ، ولا تَنْفَعُه ؟!

وكان إخْوَةُ (إبْراهيم) يبيعون أصْنامَهمْ ، ويَرْجعُ (إبْراهيمُ) بأَصْنامِه ، دونَ أَنْ يبيعَ مِنْها صَنمًا واحِدًا ، فَيذْهَبُ بالأَصْنام إلى النَّهْر ، ويصَوِّبُ رُءوسَها إلى الْماءِ قائلًا لها فى اسْتِهْزَاءٍ : اشْربى .. اشْربى ..

وذات يوْم نظرَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أَبيه وهوَ يَعْمَلُ فى صِناعَةِ التَّماثِيل وقالَ :

ـ ما هذه التَّماثيلُ التى تصْنَعُها يا أَبى ؟!

فقالَ (آزرُ) :

ـ هى الآلِهَةُ الَّتى أَعْبُدُها ، ويَعْبُدُها قَوْمى ..

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ كيْفَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يرَى ، ولا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ؟!

فغَضبَ (آزرُ) وقالَ :

ـ ألا تُعْجِبُك آلهَةُ قَوْمِكَ يا (إبْراهيمُ) ؟!

وقدْ كان (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ حليمًا ، فتلَطَّفَ فى دعْوَةِ أَبيهِ ، وخاطَبَهُ بالقَوْل اللَيِّن ، والأدَب الْجَميل ..

قال (إبْراهيمُ) لأَبيه :

ـ إنَّ هذه التَّماثِيلَ الصَّمَّاءَ الْخَرْساءَ التى تَعْبُدُها ، لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ .. هذه الأَصْنامُ ، إذا سجدَ لها الإنْسانُ أَوْ خضعَ وخشَعَ ، فلَنْ ترَى سُجُودَهُ ، أو تُحِسَّ بِخُشُوعِهِ ..

إنَّ الذى يعْبُدُ هذه الأَصْنامَ مِنْ دونِ الله يلْغِى عَقْلَهُ ، وينْقَادُ إلى طَريق الشَّيْطانِ ، والشَّيْطانُ كافِرٌ وعاصٍ للهِ تعالَى .. يا أَبَتِ إنَّ الشَّيْطانَ عدُوٌّ لنا ، وقدْ أقْسَمَ على غِوايَةِ الإنْسَانِ وإضْلالِه .. يا أَبَتِ إنِّى أخافُ عَلَيْك مِن عذابِ الله ..



فماذا قالَ (آزَرُ) لـ (إبراهيمَ) ؟ هلْ آمنَ باللهِ ؟

كَلَّا .. لقدْ رفضَ (آزَرُ) دعْوةَ إبْراهيمَ .. أصرَّ على كُفْرِه وعِنادِه وعِبادَتِه للأَصْنام .. وقالَ لـ (إبْراهيمَ) :

ـ تريدُ منِّى أَنْ أتْرُكَ دينى ودين آبائى وأجْدادى ؛ لأتبعَ دينَكَ الْجديدَ ، وأعْبُدَ إلهَكَ الذى تَزْعُمُ ؟! إنَّ هذا لَنْ يكونَ أبَدًا يا (إبْراهيم) .

فاسْتَغْفَرَ (إبْراهيمُ) ربَّه واسْتَعاذَ بهِ مِنْ كُفْرِ أَبيهِ ، فَأَخذَ (آزرُ) يُهَدِّدُهُ ويتَوَعَّدُه ، طالبًا مِنْهُ أَنْ يَترُك دينَهُ الْجديدَ ، ويعودَ إلى دِينِ آبائِه ..

قال (آزَرُ) :

ـ إذا لَمْ ترْجعْ عَنْ دِينِكَ ، وتَعُدْ إلى دِينِ قَوْمِكَ ، فلنْ أتْرُكَكَ هكذا طَويلًا .. سَأُسْمِعُكَ مِنَ السِّبابِ ما لَمْ تَسْمَعْهُ ، وسأرْجُمُك بالْحجارَةِ ، فاحْذَرْ ثوْرَةَ غضَبى ، واخْرُجْ مِنْ دارى ، فليْسَ لكَ مكانٌ عِنْدِى ، ولَنْ تَجِدَ فى قَلْبى عَطْفًا عليْكَ ، ولا رَحْمَةً بِكَ ..

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ مهْمَا حَدثَ لى ، فَلنْ أعْبُدَ غيْرَاللهِ الذى خلقَنِى وهدَانى إلَيْه ..

وهكذا قرَّر (آزرُ) طرْدَ (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ دارِهِ ، فماذا فعَلَ (إبْراهيمُ) ؟

تحطيم الأصنام

دعا نبىُّ اللهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والِدَهُ (آزَرَ) إلى تَرْك عِبادَة الأَصْنامِ ، التى لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، والاتِّجاه لِعبادَة اللهِ الْواحدِ القَهَّار .. فغَضِب مَنْهُ (آزرُ) وهدَّدَهُ بأنَّه سَوْف يَرْجمُهُ بالْحجارَةِ ، ويَطرُدُهُ منْ بَيْته ، إذا لَمْ يَرْجعْ عنْ دِينِه ، ويَعُدْ إلى عِبادَةِ آلِهَةِ قَوْمِه منَ الأَصْنامِ والأوْثان .. وخوْفَ (آزرُ) وقوْمُهُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غضَبِ آلِهتِهِمْ عليْه ، وانْتِقامها مِنْهُ شَرَّ انْتِقام ..

فقال لهمْ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ كيْفَ تَخُوِّفُونَنى بهذه التَّماثيلِ مِنَ الْحجَارَةِ والْخَشَبِ ، والتى لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ؟!



كيْفَ أخافُ منها ، ولا تخافونَ أنْتُمْ مِنْ شِرْكِكُمْ باللهِ ، الذى خلقكُمْ وخلقَ آباءَكُمْ وأجْدادَكُمْ ، والذى يُميتُكُمْ ثمَّ يُحْييكُمْ يوْمَ القِيامَةِ لِلْحساب والْجزاءِ .. كان مِنَ الْمُفْتَرضِ أنْ تخافُوا أنتمْ ، ولَيْس أنا .

ثم خاطبَ (إبراهيمُ) عليه السلام أباهُ قائلًا :

ـ يا أبتِ إنَّ اللهَ تعالى قدْ آتانِى مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يُؤْتِك ، وقدْ أرسَلَنى برسالَةِ التَّوْحيدِ ، وهَأنذا أدْعُوكَ إلى الإيمانِ باللهِ الْواحِدِ الأَحَد ، فلا تُغلِقْ أُذُنَيْكَ عَنِ الاسْتِماعِ إلى دعْوَتى ، ولا تتكَبَّرْ عَنِ اتِّباعِ رِسالَتى ، والسَّيْرِ على طَريقى ؛ لأنَّه هو الطَّريقُ الصَّوابُ ، والصِّراطُ الْمُسْتقيمُ ؛ لأَنَّه طريقُ رَبِّ الْعالَمين ..

ولكنَّ (آزرَ) أصَرَّ على كُفرِهِ وإشْراكِه باللهِ ، وأصَرَّ على طَرْدِ (إبْراهيمَ) مِنْ بَيْتِه ، فقال له (إبْراهيمُ) عليه السلام :

﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إنَّه كَانَ بِى حَفِيًّا * وأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وأَدْعُو رَبِّى عَسَى ألا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾

وهكذا ودَّعَ (إبْراهيمُ) أباهُ ، وانْصَرفَ عنه مَحْزُونَ الْفُؤادِ ؛ لأنَّ أقْربَ النَّاسِ إليْه لمْ يُؤْمِنْ بِهِ .. اعْتزَلَ (إبْراهيمُ) أباهُ ، حتَّى لا يكُونَ مُشارِكًا له فى كُفْرِه ..

لَمْ يسْتَسْلِمْ نَبِىُّ اللهِ (إبْراهيمُ) عليه السلام لِلْيأْسِ ، ولذلك لَمْ يكُفَّ عنْ دعْوَةِ قوْمِه إلى ترْكِ عِبادةِ الأصْنام ، وأنْ يُؤْمِنُوا باللهِ ..

وذاتَ يَوْم توجَّه (إبْراهيمُ) عليه السلام إلى الْمَعْبَدِ الذى يَضَعُ فيه الْقَوْمُ أصْنامَهُمْ . فرأى عَشَراتٍ مِنَ الأَصْنامِ ، من مُخْتلف الأَشْكال والأحْجام ، فتَعَجَّبَ مِنَ الضَّلالِ الَّذى يَعيشُ فيه قَوْمُهُ ..

وسأَلَ الْقَوْمَ قائلًا :

ـ ما كُلُّ هذه التَّماثيلِ ؟ ولماذا تَعْبُدونَها ؟!



فأجابَهُ الْقَوْمُ :

ـ لقدْ وجَدْنا آباءنا يَعْبُدُونَها ، ونحْنُ نَعْبُدُها مِثْلهُم ..

فقال (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ أَنْتُمْ وآباؤُكُمْ فى ضَلالٍ مُبينٍ ؛ لأَنْكمْ تعْبُدُونَ ما لا يَضُرُّكُمْ أَوْ يَنْفعُكمْ ..

فقالَ الْقَوْمُ مُتَعجِّبين :

ـ ما هذا يا (إبْراهيمُ) ؟! هل جئتَ لِتَسُبَّ آلِهَتَنا حقًّا ، أمْ أنَّك تَهْذِى بِكلامٍ غيْرِ مفْهومٍ ؟! هل أنتَ مِنَ اللاعِبين ؟!

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ بلْ أقُولُ ذلك حقًّا .. لقدْ أرْسلَنى اللهُ تعالَى بِدينٍ قَويمٍ .. اللهُ وَحْدَهُ هو الْمُسْتحِقُّ لِلْعبادة ؛ لأنَّهُ خالِقُكُمْ ، وخالِقُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ ، وكُلِّ شَىْءٍ فى الْكَوْنِ ..

وأَخذَ نَبىُّ الله (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعِظُهُمْ ، طَالبًا مِنْهُمْ أَنْ يُفكِّروا بِعُقولهم ، التى وَهبَهُمُ اللهُ إِيَّاهَا ، وأَخذَ يُبيِّنُ لهمْ بِالبراهينِ والأدِلَّةِ عَظِيمَ صُنْعِ الله تعالَى وقُدْرَتَهُ فى السَّماواتِ والأَرْضِ .. ويُبيِّنُ لَهُمُ الْفرْقَ بيْنَ ما يَدْعُوهُمْ إِلَيْه مِنْ عِبادةِ الله ، وبَيْنَ ما يَعْبُدُونَهُ مِنْ أصْنامٍ .. ولكنَّ الْقَوْمَ لمْ يَسْتَمِعوا إِلى نُصْحِهِ ..

أدْركَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لا فائِدَةَ تُرْجَى مِنْ قَوْمه مع وُجُود هذه الأَصْنامِ ، الَّتى هى أَعْدَاؤهُ ..

وعرفَ أنَّ الإِقْناعَ بالْقَولِ وَالْحُجَجِ الْعَقْليَّة ، لنْ يُجْدِىَ معَ هؤلاءِ الْقَوْم الضَّالِّين .. ولِذلكَ أقْسَمَ باللهِ إِنَّهُ سيَنْتَقِمُ مِنْ هذه الأَصْنام بَعْدَ أنْ يُوَلِّىَ الْقَوْمُ عنها ، ويَخْرُجُوا تاركين الْمَعْبَدَ .. وغادرَ (إبْراهيمُ) الْمكانَ وهوَ يَنوى أنْ يَقُومَ بِعَمله الْخَطِير ، عِندَما تُواتِيه الْفُرْصَةُ ..

وأخيرًا واتَتْ (إبْراهيمَ) الْفُرصَةُ .. كانَ يَوْمُ عِيد ، وقدْ خرجَ الْقَوْمُ جميعًا لِشُهُودِ الاحْتِفالِ خارجَ الْمدِينَةِ ..

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ هذه فُرْصَتِى لأَنْتقِمَ مِنَ أصْنامِهِم ، وأُلَقِّنَ الْقَوْمَ دَرْسًا فيه الدَّلِيلُ الْمادىُّ على خَطَأ ما يَعْبُدُون مِنْ دُونِ الله ..

وحمَل (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأْسًا وتوجَّه إلى الْمَعْبَدِ ..

رَأى (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ الأَصْنامَ جامِدَةً ، وقدْ وضعَ الْقَوْمُ أمَامها الطَّعامَ والشَّراب ، وقرَّبوا لَها الْقَرَابينَ والْهَدايا الثَّمينة .. فتَعَجَّبَ فى نَفْسِه قَائلًا :

ـ كيْفَ تأْكُلُ هذه الأصْنامُ أوْ تَشْرَبُ ؟!

ثمَّ اقْتَرَبَ مِنْ تِمْثالٍ وسَأَلَهُ فى سُخْرِيَةٍ :

ـ لماذا لا تأكُلُ طعَامَكَ؟!

وبالطَّبْع لَمْ يتلَقَّ جوَابًا ، فراحَ يَمُرُّ بيْنَ صُفُوفِ التَّماثيلِ ويسْألُها :

ـ لماذَا لا تأْكلونَ ؟! ألَسْتُمْ جائِعينَ ؟!

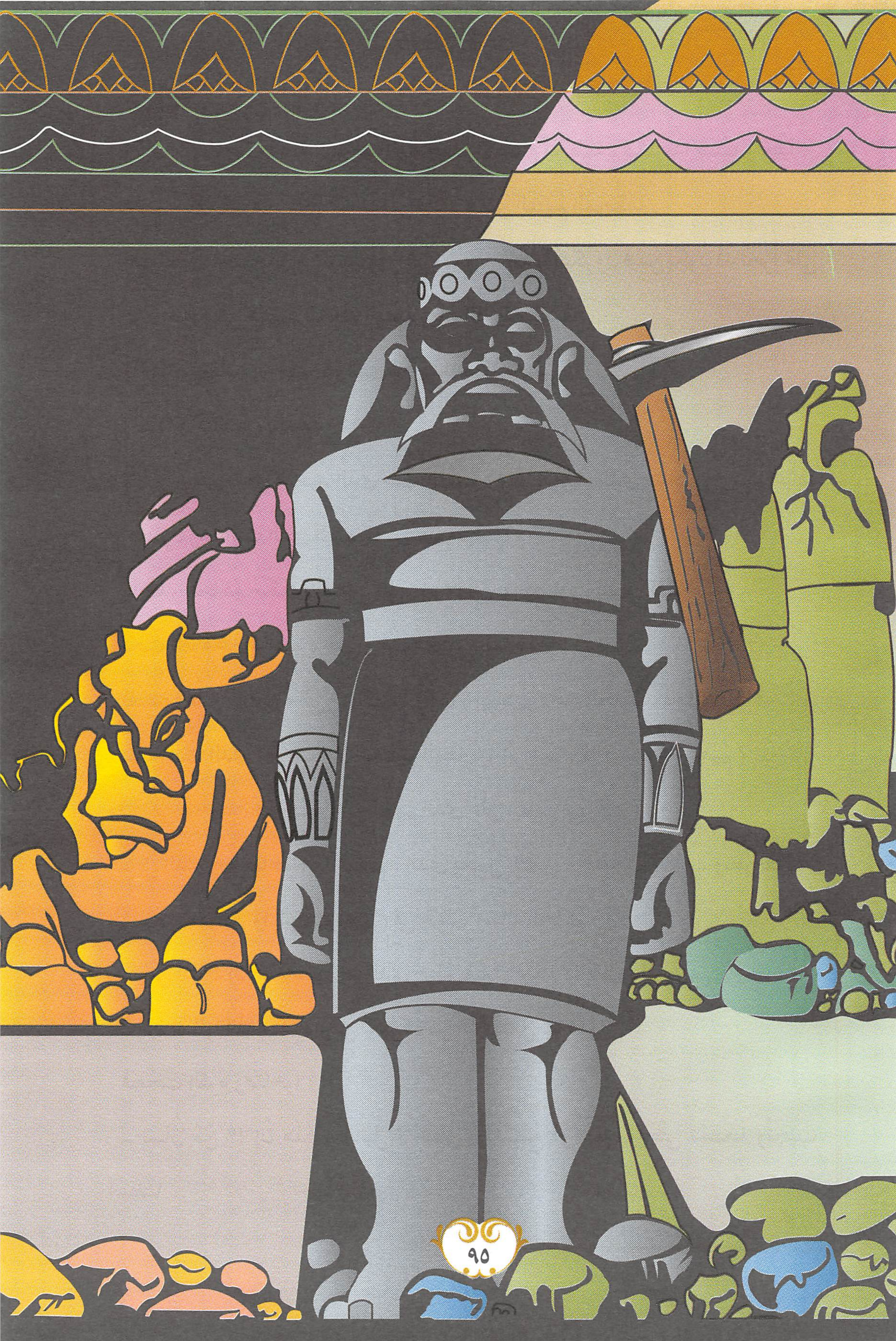
وبالطَّبْع لَمْ يتلَقَّ جوَابًا ، فعادَ إلى السُّخْرِيَةِ منْها :

ـ لماذا لا تنْطِقونَ؟!

ولم يتلَقَّ جوَابًا ، فتملَّكَهُ الْغَيْظُ مِنْ غَباءِ قَوْمه ؛ لأَنَّهُمْ يَعْبدون هذه الْحِجارَةَ .. ثمَّ رفعَ فأْسَهُ عَالِيًا وأَخذَ يَهْوى بهَا على التَّماثيلِ ، فيُحَطِّمُها .. حطَّمَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ الآلِهَةَ الكَاذِبَةَ الّتى يعْبُدُها قَوْمُه ،ولم يسْتطِعْ تِمْثَالٌ وَاحِدٌ أنْ يُدافع عَنْ نَفْسِهِ ..

حطَّمَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّ الأَصْنام ، وتركَ صَنمًا واحدًا سَليمًا ، لَمْ يَمْسَسْهُ بِسُوءٍ فعَلَّقَ الْفَأْسَ فى رَقَبتِه .. وكانَ هذا الصَّنَمُ هوَ أكْبَرَ الأصْنامِ .. ثم غادرَ (إبْراهيمُ) الْمَعْبَدَ .. ذهبَ يُصَلِّى لله ، ويتفَكَّرُ فى خلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ ..

وعادَ الْقَوْمُ مِنَ احْتفالهِمْ ، فتوجَّه بَعْضُهُمْ إلى الْمَعْبَدِ ؛ لِيَتَعَبَّد لِصَنمِه ويَسْجُدَ لَهُ ..



وكانتِ الْمُفَاجأةُ مُذْهِلَةً .. وجدَ الْقَوْمُ جميعَ الأَصْنام مُحطَّمَةً ، فيما عَدا صنمًا واحِدًا .. حدثَتْ ضَجَّةٌ كبيرةٌ .. راحَ الْقَوْمُ يَصْرُخون ، باكينَ آلِهَتَهُمُ الْمُحطَّمَةَ ..

وفى الْحالِ اجْتمعَ الْقَوْمُ ، وتشاوَرُوا فى الأَمْر .. أَخذوا يُفكِّرون فيمنْ يكونُ قدْ تجرَّأَ على دُخولِ الْمَعْبَدِ فى غَيْبَتهمْ لِيُحطِّمَ آلِهَتَهُمْ بهذه الطَّريقةِ الْبَشِعَةِ ..

وأَخيرًا قرَّروا أَنَّ (إِبْراهيمَ) هوَ الَّذى قامَ بهذا الْعَمَلِ الْخطِيرِ ..

ولماذا (إِبْراهيمُ) بالذَّاتِ ؟

لأَنَّ (إِبْراهيمَ) هو الْوَحيدُ الَّذى سَبَّ آلِهَتَهُمْ ، وهو الْوَحيدُ الَّذى دَعاهُمْ إلى تَرْكِ عِبادةِ الأَصْنام ، وهو أيضًا الذى أقْسَمَ أنَّه سَيَنْتَقِمُ منْهُمْ ..

وأَصْدرَ الْحاكمُ حُكْمَهُ بالْقَبْضِ على (إِبْراهيمَ) وإحْضارِه ، لِيَمْثُلَ لِلْمُحاكَمَةِ ..

بحثَ الْقَوْمُ عن إِبْراهيمَ ، حتَّى وجَدُوهُ خارِجَ الْمَدِينَةِ ..

فَقَبضوا علَيْه ، وقادُوهُ إِلَى الْحاكِمِ .. وقفَ (إِبْراهيمُ) أَمَامَ الْحاكِمِ ، فسأَله قائلاً :

ـ هلْ أَنتَ الذى تجرَّأْتَ على تَحطِيمِ آلِهَتِنا يا (إِبْراهيمُ) ؟! فتبَسَّمَ (إِبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالَ فى سُخْرِيَةٍ ، وهو يُشيرُ إِلى الصَّنمِ الذى علَّقَ الْفَأْسَ فى رقَبَته :

ـ بل الَّذى حطَّمَها هوَ هذا الصَّنمُ ، الَّذى يحْمِلُ الْفَأْسَ .. فَتَعجَّبَ الْقَوْمُ ، ونظر بعْضُهُمْ إِلى بعْضٍ ، ثمَّ نظروا إلى (إِبْراهيمَ) فى غَيْظٍ ، وسأَلهُ الْحَاكِمُ :

ـ ومَنْ أَدْراكَ أنَّ هذا الصَّنَمَ هو الذى حطَّمَ بقيَّةَ الأَصْنام ؟! فقالَ (إِبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ إِذَن اسْأَلوا أَصْنامَكم ، وهى تُخْبِرُكُمْ مَنِ الَّذى فَعَلَ بِها هَذا ..

فتعجَّبَ الْقَوْمُ وصَاحوا :

ـ نسْأَلُ مَنْ ؟! إِنَّ هذه التَّماثيلَ لا تَنْطِقُ أَوْ تَسْمَعُ أَوْ تَعْقِل ، حتَّى تَسْمَعَنا وتُجيبَ أَسْئِلَتَنا ..



فضحك (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ ساخِرًا منْهُمْ وقالَ :

ـ وكَيْفَ تعْبُدونَ شيْئًا لا يَسْمَعُ أوْ يتكَلَّمُ أوْ يَعْقِلُ .. شيْئًا لا يَسْتطِيعُ حتّى أنْ يَدْفَعَ الأذى عنْ نَفْسهِ ؟! هيَّا أجِيبُونى يا مَنْ ألْغَيْتُمْ عُقُولَكُمْ ..

وأَمامَ حُجَّةِ (إبْراهيمَ) الْقَوِيَّةِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْقَوْمُ أنْ يُجيبُوه عَنْ سُؤالِه ..

وغَضِبَ الحاكِمُ ، فأصْدرَ حُكْمَهُ على (إبْراهيم) بالْمَوْتِ حَرْقًا ..

وبدَأتْ عمليَّةُ الاسْتعْدادِ لِحَرْقِ (إبْراهيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ .. قَيَّدوهُ بالْحِبالِ ، حتّى لا يَهْرُبَ ..

وَحفَروا حُفْرَةً هائِلَةً ، ثمَّ ملئُوهَا بالْحَطبِ والْخَشَبِ ، وأَشْعَلوا فِيها النِّيرانَ ..

وجاء النَّاسُ مِنْ كُلِّ أَرْجاءِ مَمْلَكَةِ بَابِلَ ، لِيَشْهَدوا إحْراقَ (إبْراهيمَ) ، الذى تَجرَّأَ على آلِهَتِهِمْ ، حتى يَكُونَ عِبْرَةً لمن تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أنْ يَفعلَ ذلك فى الْمُسْتَقْبَلِ ..

وقفَ (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ ينْظُرُ إلى النِّيرانِ ، الَّتى أَعَدُّوها لإحْراقِه .. كانَتْ نيرَانًا تكْفِى لإحْراقِ مدينةٍ بأكْمَلِهَا ..

لكنَّ (إبْراهيمَ) لَمْ يكُنْ خائِفًا ، لأنَّه يعْلَمُ أنَّهُ على الْحَقِّ ، وأنَّ اللهَ وَحْدَهُ قادِرٌ على نَصْرِهِ وَنجاتِه ..

وعِنْدَما أَصْبَحَتِ النِّيرَانُ جاهِزَةً ، قَذَفُوا بـ (إبْراهيمَ) فيهَا ..

وأَوْحَى اللهُ تعالَى إلى النِّيرانِ أنْ تَكُونَ بَرْدًا وسَلامًا على نَبيِّهِ (إبْراهيمَ) ..

ولذلك لَمْ يَشْعُرْ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحرارةِ النِّيرانِ .. لَمْ تَمسّ النِّيرانُ جَسَدَهُ ، أوْ حتى مَلابِسَهُ بأَىِّ سُوءٍ .. كُلُّ مَا حَرَقَتْهُ النِّيرانُ هو الْحِبالُ الَّتى قيَّدُوا بها (إبْراهيمَ)

وأخذَتِ النِّيرانُ تَخْمُدُ تدريجيًّا ، والْقَوْمُ واقِفُونَ ينْظُرونَ إلَيْها ، وهُمْ واثِقون بأنَّها لنْ تُبْقَى مِنْ (إبْراهيمَ) شَيْئًا ... لكنَّ اللهَ تعالَى خيَّبَ ظُنُونَهُم ..

فَبَعْدَ أنِ انْطفَأتِ النِّيرانُ خرجَ مِنها (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ سَلِيمًا كَما أُلْقِىَ فيها ..



حتّى رَمادُ النّيرانِ ودُخانُها لَمْ يُعَفِّرْ مَلابِسَهُ ..

وشَهِقَ الْقَوْمُ مُتَعَجِّبينَ مِنَ المُعْجزةِ :

أهَذا هُو (إبْراهيمُ) الذى أَرَدْنا إحْراقَهُ ؟!

لقدْ أرادُوا به كيْدًا لِلقضاءِ على دَعْوَتِه ، لكن اللهَ حَفِظَهُ ونَجّاهُ .. فهلْ آمَنَ به قَوْمُهُ ، بعْدَ أنْ رأَوْا مُعْجِزَةَ نجاته مِنَ الإحْراقِ بالنّارِ ؟!

لا .. فقدْ ظَلُّوا علَى كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ ...

زواجه من هاجر

نَجّى اللهُ تعالى نَبِيَّهُ وخَليلَهُ (إبراهيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النّيرانِ التى أَلْقاه الْكُفّارُ فيها لإِحْراقِه بعْد أنْ حطَّمَ أصْنامَهُمْ .. فكانَتِ النّارُ بَرْدًا وسَلامًا على (إبْراهيم) بأَمْرِ رَبِّها ..

وبِرَغْمِ هذه الْمُعْجِزَةَ الّتى شَهِدَها الْكُفّارُ ، فإنَّهُمْ لَمْ يُؤْمنوا ، وظَلُّوا على عِبادةِ أصْنامِهِمْ .. فلَمْ يُؤمِنْ بـ (إبْراهيمَ) سِوَى شَخْصَيْنِ فَقَطْ ..

الشَّخْصُ الأَوَّلُ الذى آمن بـ (إبْراهيمَ) هو ابْنَةُ عَمِّهِ السَّيِّدَةُ (سَارَّةُ) وقدْ تزوَّجَها (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

و الشَّخْصُ الثّانى هو ابْنُ أَخِيهِ (لُوطٌ) وقدْ صارَ فيما بَعْدُ نبيًّا ..

فلَمّا أيْقَنَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ به أَحَدٌ آخرُ مِنْ قَوْمِه ، قَرَّرَ أنْ يخْرُجَ مُهاجرًا بِدَعْوَتِهِ إلى قَوْمٍ آخَرينَ ..

ترك (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بلدَهُ مُهاجرًا فى سَبِيلِ اللهِ ، وكُلُّ هَدَفِه هوَ نَشْرُ دِينِ اللهِ فى الأَرْضِ .. فخرجَتْ مَعَهُ زَوْجَتُه (سارَّة) وابْنُ أخِيهِ (لُوطٌ) .. وفى أَثْناءِ رِحْلَتِهِ قابلَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مَلِكًا جبّارًا ، يَمْتلئُ بالْغُرُورِ والكِبْرياءِ ، ويَدَّعى الأُلُوهِيَّةَ من دُونِ اللهِ تعالَى .. ويُقالُ : إنَّ هذا الْملِكُ هو نَفْسُهُ (نُمْرُودُ) مَلِكُ (بابِلَ) ..

وعِنْدما سمِعَ (نُمْرُودُ) بخَبَرِ (إبراهيمَ) ، اسْتَدْعاهُ ، وقالَ لهُ فى سُخْرِيَةٍ واسْتِخْفَافٍ :

ـ سَمِعْتُ أنّك تَدْعُو النّاسَ إلى عِبادةِ إلَهٍ جديدٍ غيْرى ..



فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ بلْ هوَ إِلَهٌ واحِدٌ أحَدٌ ، فَرْدٌ صَمَدٌ ، ليْسَ له شَريكٌ ..

فقالَ (نُمْرُودُ) :

ـ ومَنْ هو إِلَهُكَ هذا الذى تدْعُو إِلَيْه يا (إبْراهيمُ) ؟!

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ إِلَهِى ورَبِّى ، ورَبُّ كُلِّ الْمَخْلُوقاتِ هُوَ اللهُ ..

فقالَ (نُمْرُودُ) :

ـ أنا أيْضًا إِلَهٌ ، والنَّاسُ يَعْبُدونَنِى .. ما الذى يسْتطِيعُ إِلَهُكَ أَنْ يأْتِيَ به ، ولا أسْتَطِيعُهُ أنا يا (إبْراهيمُ) ؟!

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ ربى هُوَ الذى يُحْيِى وَيُميتُ ..

فقالَ (نُمْرُودُ) :

ـ أنا أيْضًا أُحْيِى وَأُميتُ ..

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

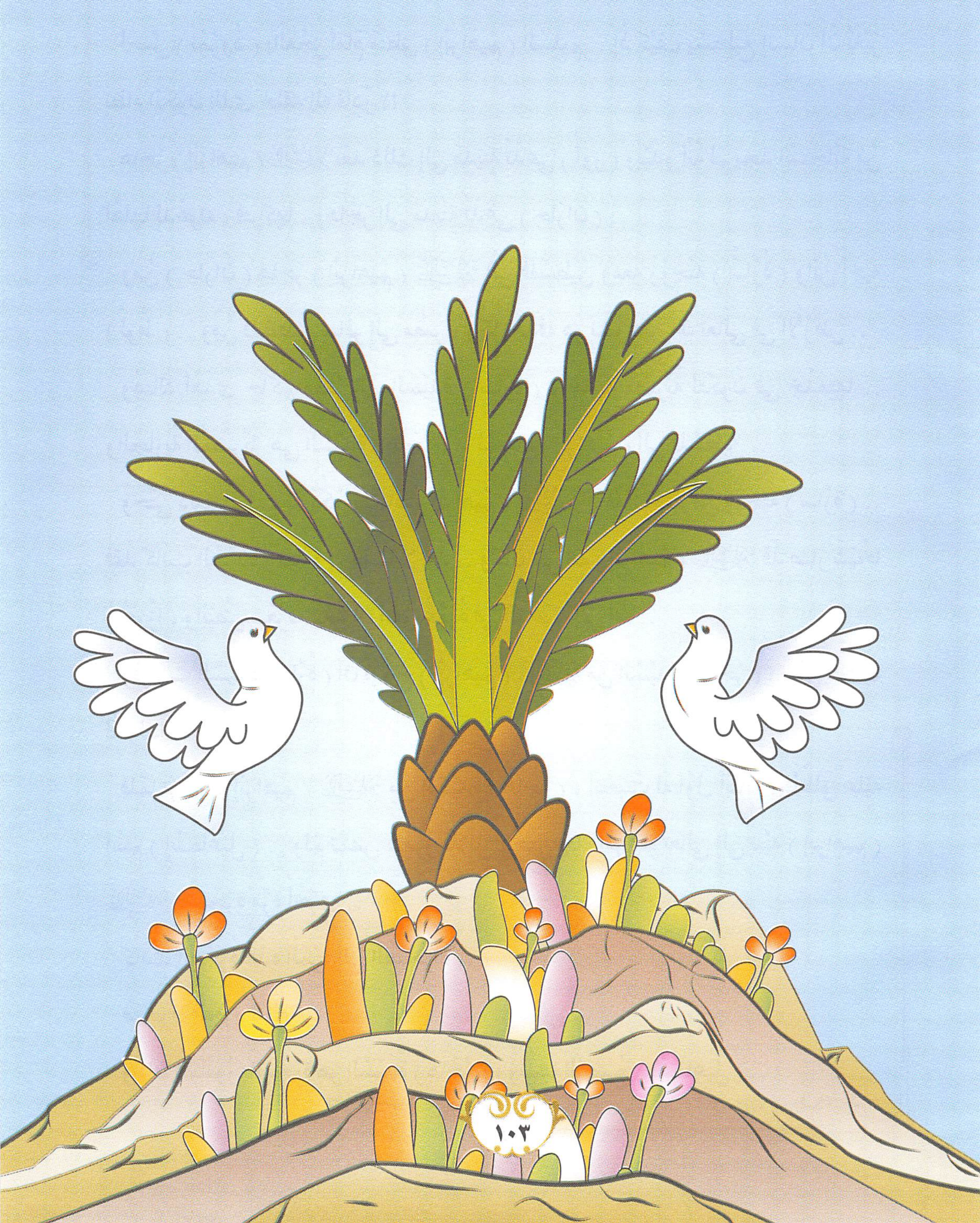
ـ كيْفَ تُحْيِى ، و كيْفَ تُميتُ ؟!

فقالَ (نُمْرُودُ) :

ـ الأَمْرُ فى غايَةِ الْبَساطَةِ ..أَسْتَطيعُ أَنْ أُحْضِرَ رَجُلاً وَأَقْتُلَهُ ، فَأَنا بذلك أُميتُ .. وأَسْتطيعُ أَنْ أَعْفُوَ عَنْ رَجُل مَحْكوم عليْه بالإعْدام ، فَأُنْجيَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَأَهبُ له الْحَياةَ ، فأنا بذلِك أُحْيِى .. إذَنْ فأَنَا أُحْيِى وَأُميتُ ، كما يفْعَلُ إِلَهُكَ يا (إبْراهيمُ) ..

فقالَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ إِنَّ اللهَ تعالَى يأْتِى بالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ .. يَجعلُها كُلَّ صَباحٍ تُشْرِقُ مِنْ ناحِيَةِ الشَّرْقِ ، فهلْ تسْتَطيعُ أَنْتَ أنْ تجعَلَها تُشْرِقُ مِنْ ناحِيَةِ الْغَرْبِ ؟!



وهُنا بُهت (نُمْرُودُ) .. خَرِسَ ولَمْ يسْتَطِعْ أَنْ ينْطِقَ بِكَلمةٍ واحِدةٍ لِيُجيبَ بها عنْ سُؤالِ (إبْراهيمَ) ..

أحَسَّ (نُمْرُودُ) بالْعَجْزِ أمامَ مَنْطِقِ (إبْراهيمَ) السَّلِيم .. إذْ كيْفَ يسْتطيعُ إنسانٌ أَنْ يُغيِّرَ نِظامَ الْكوْنِ الذى خَلقَهُ إِلَهٌ قادِرٌ ؟!

هاجرَ (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ بعْدَ ذلك إِلى مَدِينَةٍ تُدْعى (أُور) ويَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يجد اسْتِجابَةً مِنْ أَهْلِها لِدَعْوته ، فتركها ، وهاجَرَ إلى مَدِينَةٍ تُدْعَى (حَارَان) ..

ومِنْ (حَارانَ) هاجرَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى فِلسْطينَ ومعه زَوْجَتُه (سَارَّةُ) وابْنُ أَخِيهِ (لُوطٌ) .. ومِنْ فِلسْطينَ سافر إِلى مِصْرَ ، وكُلُّ هَدَفِه هو نشْرُ دينِ اللهِ تعالَى فى الأَرْض ..

وهُناك أَهْدَى حاكمُ مِصْرَ إلى السَّيِّدَة (سَارَّة) ، جارِيَةً مِصْرِيَّةً لِتكونَ فى خِدْمَتِها .. والجارِيَةُ المصْرِيَّةُ هى السَّيِّدَةُ (هاجَرُ) .. ثمَّ عادَ (إبْراهيمُ) إلى فِلسْطينَ ..

وحتَّى ذلكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ نبيُّ الله (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ قدْ أَنْجَبَ منْ زوْجته (سارَّة) .. فقدْ كانَتِ السَّيِّدَةُ (سارَّة) عَقِيمًا لا تَلِدُ .. وكانَ نبيُّ الله (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ قدْ صارَ شَيْخًا عَجُوزًا ، وابْيَضَّ شَعْرُه ، بعْدَ أن أنْفقَ عُمْرَهُ فى الدَّعْوَة إلى الله ..

وفكَّرَتِ السَّيدةُ (سارَّةُ) أن تُزوِّجَ (إبْراهيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّيِّدَة (هاجَرَ) ؛ حتَّى تُنْجِبَ لهُ وَلَدًا ..

فلمَّا تزوَّجَ (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّيِّدَة (هاجَر) ، أَنْجبَتْ لهُ أوَّلَ أبْنائه ، فأَطْلقَ عليْه اسْمَ (إِسْمَاعيلَ) .. ولَمْ تَمْضِ شُهُورٌ قَلائِل ، حتَّى جاءَ أَمْرُ اللهِ تعالَى إِلى نَبِيِّهِ (إبْراهيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بالْهِجْرَةِ مرَّة أُخْرَى ..

كانتِ الْهِجْرَةُ هذه الْمرَّةَ إلى الصَّحْراءِ ..

صَحْراءِ الْجَزيرة الْعَربيَّة ..

وكانَ الْمَأْمُورُ بالهِجْرَةِ هو السَّيِّدَةُ (هاجَرُ) ووَلَدُها الرَّضيعُ (إِسْماعيل) ..



اصْطَحب نبيُّ اللهِ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَته السَّيِّدَة (هاجَر) وابْنَهُ (إسْماعيلَ) ، وسارَ بهما قَاصِدًا المكان ، الذى حدده الله تعالى له ، حتى وصل إلى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَة .. وكانتْ مكَّةُ فى ذلك الْوَقْتِ لَاتَزالُ صَحْراء خاليَةً مِنَ الزَّرْعِ والْماءِ والنَّاسِ .. وفى الْمَوْضِعِ الذى بُنى فيه الْبَيْتُ الْحَرامُ ، تركَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَتَه (هاجر) وابْنَه الرَّضِيعَ (إسْماعيلَ) ، لِيعِيشَا هنُاك ..

وتركَ لهما (إبْراهيمُ) مَا مَعَهُ مِنْ ماءٍ وَطعامٍ ، وهَمَّ بالانْصِرافِ .. فسأَلَتِ السَّيِّدةُ (هاجرُ) عنْ سَبَبِ اختيار (إبْراهيمَ) هذا المكان الخالى من الزَّرْع والماء والبَشَر لإقامَتِهما .. فأَفْهمَها (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هذا بِوَحْيٍ مِنَ الله ..

فقالتْ (هاجَرُ) راضِيَةً باخْتِيار اللّـهِ لَهُمَا :

ـ إذا كان اللهُ قدْ أمَرَكَ بذلك ، فإنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّعَنا أَبدًا ..

ومضَى نبىُّ اللهِ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ عائدًا مِنْ حَيْثُ أتى ، فلمَّا ابْتَعَدَ عنْهُما رفع يدَيْهِ إلى السَّماءِ بالدُّعاءِ ، قائلاً :

ـ ﴿ رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْر ذِى زَرْعٍ عنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ..

وعادَ (إبْراهيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فِلَسْطينَ ، لِيُوَاصِلَ دعْوتَهُ إلى اللهِ تعالَى ..

أَمَّا السيدةُ (هاجرُ) ، فقدْ بَقِيَتْ معَ ابْنِها الرَّضِيع ، فى الصَّحْراءِ ، فَأَخذتْ تأْكُلُ وتَشْرَبُ مِمَّا ترَكهُ زَوْجُها ، وتُرْضِعُ صَغيرَها ، حتَّى نَفَدَ ما معها مِنْ ماءٍ ، وَجفَّ لَبَنُها مِنَ الْعَطَش ، فلمْ تسْتَطعْ إرْضاعَ صَغيرِها وراحَ الصَّغيرُ يَبْكى مِنَ الْجُوعِ والْعَطَش ..

راحتْ (هاجَرُ) تَبْحثُ حوْلها عَنْ مَاءٍ ، فلمْ تَجِدْ لَهُ أَثرًا .. الشَّمْسُ حارِقَةٌ ، والرِّمالُ سَاخِنَةٌ ، ولا قَطْرَةَ ماءٍ واحِدةً تَرْوى ظَمأَ الأُمِّ المؤْمِنَةِ وابْنِها الرَّضِيع .. فماذا تفْعَلُ (هاجَرُ) ، وهى ترَى صَغِيرَها يُشْرِفُ على الْمَوْتِ عطَشًا ؟



وقَفَتْ (هاجَرُ) تنْظُرُ ، فرأتْ جَبَلًا يُسَمَّى جَبَلَ (الصَّفَا) قَرِيبًا مِنها ، فهَرْوَلَتْ إليْه مُسْرِعَةً ، وصعِدتْ فوْقَهُ ..

وأَخذَتْ تُدِيرُ عَيْنَيْها فى الْمكانِ باحِثَةً عَنِ الْمَاء ، فلمْ تجدْ لهُ أَثرًا .. نزَلَتْ من فوقِ الْجبلِ وراحتْ تَجْرى مُهَرْوِلَةً فى الْمكان ، حتَّى وصلَتْ إلى جبلٍ آخرَ يُسَمَّى جبَلَ (الْمَرْوَة) .. فصَعِدتِ الْجبَلَ وراحتْ تنْظُرُ مِنْ فَوْقِه ، باحِثةً عنِ الْماءِ ، فلمْ تجدْ لهُ أثرًا .. فنزلتْ وهَرْوَلَتْ إلى جبَلِ (الصَّفا) ثمَّ عادَتْ مِنهُ إلى (الْمروَة) .. وهكذا حتَّى قطَعَتْ سبْعَةَ أشْواطٍ ..

وتَعِبَتْ مِنَ الْجَرْى ، فجلستْ تَدْعُو الله تعالَى ، وهى تُفكِّرُ فى الْمَصيرِ الَّذى ينْتَظِرُها وطِفْلَها ، ويتَهَدَّدُهُما بالْمَوْت .. وكانَ الصَّغِيرُ (إسْماعيلُ) يبْكى من شِدَّةِ الْعَطَشِ ويضربُ الأَرْضَ بِقَدَمَيْه ، و (هاجَرُ) تَنْظُر إليْه حَزِينَةً ومُشْفِقَةً عليه ..

لكنَّ عِنايةَ الله ورِعايَتَهُ أدْرَكَتْ (هَاجَرَ) وابنَها فى الْوَقْتَ الْمُناسِب ..

فقدْ تفَجَّرَ الْماءُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَىْ (إسْماعيلَ) ، فَحمِدَتْ (هَاجَرُ) الله ، وأخذتِ الْماءَ فى يَدَيْها فسَقَتْ (إسْماعيلَ) وشرِبَتْ ، حتَّى ارْتَوَيَا ماءً عَذْبًا حُلْوَ الْمَذاق .. وقدْ سُمِّيَتْ هذه الْبِئْرُ الَّتى تفَجَّرَتْ تْحتَ قدمَىْ (إسْماعيلَ) (بئْرَ زَمْزَم) وهى لمْ تَزَلْ باقِيَةً حتَّى الْيَوْم فى مكانِها الَّذى تفَجَّرَتْ مِنه فى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَة ، وما زال حُجَّاجُ بيْت الله الْحرامِ يشْرَبونَ منْها ، ويَسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفا والْمَرْوَةَ ، كجُزْءٍ مِنْ شعائِرِ الْحَجِّ ..

وكانَ تَفَجُّرُ الْماءِ تْحتَ قدمَىْ (إسْماعيلَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ فى هذا الْمكانِ مِنَ الصَّحْراء سَبَبًا لِعمارَةِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَة ، واسْتِقْرارِ الْقبائِل بها ..

فقدْ كانتِ الْقبائلُ الْعَرَبِيَّةُ دائِمَةَ التَّرْحالِ فى الْجَزيرَة ، بَحْثًا عَنِ الْماءِ لِحيَاتِها ، وعَنِ الْعُشْبِ لِتَرْعَى فيه إبِلَهُمْ ومَوَاشِيهِمْ ..

وكانَتِ الْقَوافِلُ التِّجارِيَّة بيْن الْيَمَن والشَّام تَمُرُّ بهذا الْمَكان ، فلا تتوَقَّفُ فِيه لِعَدَمِ وُجودِ الْماءِ أوِ الزَّرْعِ والشَّجَرِ ..



وبدأت الطُّيورُ تحُطُّ عَلَى بئرِ زَمْزَمَ ، وتشْرَبُ من الْماء الْمُتَدفِّق منه .. فرأتْها بعضُ الْقَبائل التى كانتْ تُقِيمُ قريبًا ، وعرَفَتْ أنَّ الطُّيورَ لا تَحُطُّ على مكانٍ إلَّا إذَا كانَ فيه مَاءٌ ..

ولذلكَ قَدِمَتْ بعْضُ الْقبائلِ الْعَربيَّةِ ، واسْتَأْذنَتْ (هاجَرَ) فى الإقامةِ معَها فى الْمكان ، على أنْ يَبْقى الْمَاءُ ، ماءَهَا ، فوافقتْ (هاجَرُ) .. وبذلك عَمُرَ الْمكانُ بالنَّاسِ ، ودَبَّتْ فيه الحياةُ .. ولَمْ يضَيِّعِ اللهُ وزَوْجَةَ نَبِيِّهِ (إبْراهيم) عَلَيْهِ السَّلَامُ وابْنَه ، بلْ أجاب دُعاءَهُ ، فجعلَ النَّاس يُقْدِمُونَ إلى الْمكانِ لِيُؤانِسُوا وَحْدَةَ (هاجَرَ) و (إِسْماعيلَ) ، ولِيَعْمُرُوا الْمكانَ بالْخَيْرِ الْوَفيرِ ..

البلاء العظيم

تَرَكَ نَبىُّ اللهِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ إسْماعِيلَ وزَوْجَتَهُ هاجَرَ فى صَحْراءِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، وعَادَ إلَى الشَّامِ لِيُواصِلَ دعْوَتَهُ إلى اللهِ ، فلمَّا تفَجَّرَ الْماءُ مِنْ بئْرِ زَمْزَمَ تحْتَ قدَمَى الصَّغيرِ إسْماعِيلَ ، عَمَرَ الْمَكَانُ بالْبَشرِ ، وجاءَتْ بَعْضُ الْقبائِلِ الْعربيَّةِ ؛ لِتَسْكُنَ فيه ..

وبِمُرُورِ الأيَّامِ وتَتابُعِ السَّنواتِ كَبِرَ إسْمَاعيلُ ، حتَّى صَارَ غُلامًا ذكِيًّا ، تعَلَّقَ بهِ قَلْبُ أُمِّهِ هاجرَ ..

وأحَبَّهُ أبُوهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خاصَّةً وأَنَّ اللهَ قدْ رَزَقَهُ به على كِبَرٍ ..

وكانَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يزورُ ولَدَهُ إسْماعِيلَ وزوجتَهُ هاجر كُلما سنَحتْ لهُ فُرْصَةٌ لِذلِكَ ..

وذاتَ يومٍ وقعَ الابْتِلاءُ الْعَظيمُ .. تعرَّضَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلدُهُ إسْماعيلُ لامْتِحانٍ منَ اللهِ تعَالَى ..

كانَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نائمًا ، فرأى فى الْمنامِ أنَّهُ يذْبحُ وَلَدَهُ إسْماعيلَ ..

ورُؤْيا الأنْبياءِ صِدْقٌ لا كَذِبَ فِيهَا ..



نهضَ إبْراهيمُ عليه السلام مِنَ النَّوْمِ مَهْمُومًا وهو يفكِّرُ فى الرُّؤيا الَّتى رآهَا .. لقدْ رأى أنَّهُ يذْبَحُ وَلَدَهُ .. إذَنْ فَلابُدَّ أنْ يُحقِّقَ الرُّؤيا فى الْوَاقِعِ ويذْبَحَ وَلَدَهُ ..

وفكَّرَ إبْراهيمُ عليه السلام كيْفَ يُبْلغُ الْخَبَرَ لِوَلَدِهِ ؟ ماذا يقُولُ لهُ ؟ هلْ يسْتَجِيبُ إسْماعيلُ ، ويَتقَبَّلُ الْخَبَرَ ببَساطةٍ ، أمْ أنَّهُ سيَرْفُضُ الاسْتِجَابَةَ لِوَالِدِهِ لِتَنْفِيذِ أمْرِ اللهِ ؟

ذَهَبَ إبراهيمُ عليه السلام إلى وَلَدِه وقالَ لهُ :

ـ يا بُنَىَّ إنِّى رأَيْتُ فى الْمَنَامِ أنِّى أَذْبَحُكَ ، فَانْظُرْ ماذا تَرَى ؟

وكانَ إسْماعيلُ عليه السلام يَعْرِفُ أنَّ رُؤْيَا الأَنْبِياءِ حَقٌّ ، وأنَّ الذى رَآهُ أَبُوهُ فى الْمَنَامِ وَحْىٌ مِنَ اللهِ ، ولذلكَ فهوَ وَاجِبُ التَّنْفِيذِ .. ولِذلكَ لَمْ يَفْزَعْ ، ولَمْ يعْتَرِضْ ، ولَمْ يَيْئَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، بلْ أجَابَ والِدَهُ بكُلِّ أدَبٍ قائلًا :

ـ يا أَبَتِ افْعَلْ ما أَمركَ به اللهُ .. ستَجِدُنى ـ إنْ شَاءَ اللهُ ـ مِنَ الصَّابرينَ ، فلا تَخَفْ عَلَىَّ ، أوْ تَجْزَعْ مِنْ أجْلِى ..

مُنْتَهَى الطَّاعَةِ والامْتِثَالِ مِنَ الابْنِ الصَّابِرِ لأَمْرِ اللهِ ..

واسْتَعَدَّ كُلٌّ مِنَ الأبِ والابْنِ لأَمْرِ اللهِ ، فأحْضَرَ إبْراهيمُ عليه السلام حَبْلاً وسكِّينًا ، وأَخْفى ما يَنْوِى الْقِيامَ به منْ ذَبْحِ إسْماعيلَ عَنْ هاجَرَ ، حتَّى لا تجزَعَ أوْ تثْنِيَهُ أوْ تثْنِىَ وَلَدَهُ عنْ تَنْفِيذِ أمْرِ اللهِ تعالى ، وقالَ لابْنِهِ :

ـ هيَّا بنا يا بُنَىَّ نخْرُجُ إلى هذَا الشِّعْبِ لِتَنْفِيذِ أمْرِ اللهِ ..

فلمَّا رأتْهُمَا هَاجَرُ سألَتْهُمَا : أيْنَ تذْهبَانِ ؟ فَقالَ لهَا إبْراهيمُ إنَّهُما ذاهِبانِ لِجمْعِ الْحَطَبِ ..

وسارَ إبْراهيمُ وخَلْفَهُ إسْماعيلُ قاصِدَيْنِ الشِّعْبَ ، وَيُقَالُ بأنَّ الشَّيْطانَ قَدِ اعتَرَضَ طَريقَ إبْراهيمَ عليه السلام فى صُورَةِ رَجُلٍ ، فسألَهُ قائلًا :



ـ إلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ أيُّها الشَّيْخ ؟

فقالَ إبْراهيمُ عليه السلام :

ـ ذاهِبٌ لِهذا الشِّعْبِ لأَجْمعَ الْحَطَبَ ..

فقالَ الشَّيْطانُ مُخادِعًا :

ـ واللهِ إنِّى لأَرَى الشَّيْطانَ قدْ جاءَكَ فى مَنامِكَ ، فأَمَرَكَ بذَبْحِ وَلَدِكَ هذا ، فأَنْتَ ذاهِبٌ به لِتَذْبَحَهُ ..

فعرَفَ إبْراهيمُ عليه السلام أنَّهُ الشَّيْطانُ فنَهَرَهُ قائِلًا :

ـ ابْتَعِدْ عَنِّى يا عَدُوَّ الله .. واللهِ لأُنَفِّذَنَّ أَمْرَ رَبِّى ..

فلما يئِسَ الشَّيْطانُ مِنْ إغواءِ إبْراهيمَ عليه السلام اعْتَرَضَ طريقَ إسْماعيلَ قائلًا :

ـ يا غُلامُ .. هلْ تَدْرِى إلى أين يذْهَبُ بِكَ أَبُوكَ ؟

فقالَ إسْماعيلُ :

ـ نَحْنُ ذَاهِبَانِ لِنَحْتَطِبَ ..

فقالَ الشَّيْطانُ :

ـ واللهِ ما يُريدُ أَبُوكَ إلَّا أنْ يَذْبَحَكَ ..

فقالَ إسْماعيلُ :

ـ فلْيَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ به رَبُّهُ .. سَمْعًا وطاعَةً لأَمْرِ اللهِ ..

فلَمَّا يَئِسَ الشَّيْطانُ مِنْ إغْواءِ إسْماعيلَ عليه السلام توجَّهَ إلى هَاجَرَ ، فى مَنْزِلِهَا وقالَ لها :

ـ يا أُمَّ إسْماعيلَ ، هلْ تدْرِينَ أَيْنَ ذهَبَ إبْراهيمُ بوَلَدِكِ إسْماعِيلَ ؟ فَقَالَتْ هاجَرُ :

ـ ذَهَبَا لِيَحْتَطِبا مِنْ هذا الشِّعْبِ ..

فقالَ الشَّيْطانُ :

ـ ما ذَهبَ به إلا لِيَذْبَحَهُ ..

فقالَتْ هَاجَرُ :

ـ هوَ أرْحمُ بهِ وأشَدُّ حُبًا لهُ مِنْ ذلكَ ..

فقالَ الشَّيْطانُ :

ـ إنَّ إبْراهيمَ يَزْعُمُ أنَّ رَبَّهُ أمَرَهُ بِذلك ..

فقالتْ هَاجَرُ :

ـ إنْ كانَ رَبُّهُ أمَرَه بذلكَ ، فأنا راضِيَةٌ وأُسَلِّمُ بِأَمْرِ الله ..

وهكذا رجَع عَدُوُّ الله إبْليسُ بغَيْظِهِ ، لمْ يسْتَطِعْ أنْ ينالَ مِنْ آلِ إبْراهِيمَ شيْئًا ، وقدْ أَجْمَعُوا علَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ لأمْرِ اللهِ ..

فلمَّا خَلا إبْراهيمُ بإسْماعيلَ فى الشِّعْبِ ، نَظَرَ إسْماعِيلُ إلى أبيهِ قائلاً :

ـ يا أبتِ إنْ أرَدْتَ ذَبْحِى ، فاشْدُدْ رِباطِى ، حتَّى لا يُصيبَكَ مِنِّى شَىءٌ ، فينقُصَ أجْرى ، فإنَّ الْمَوْتَ شديدٌ ، وإنِّى لا آمَنُ أنْ أضْطَرِبَ عِنْدَهُ إذَا وجَدْتُ مَسَّهُ .. واشْحَذْ شَفْرَتَكَ (أى حُدَّ سِكِّينَكَ) حتَّى تُجهِزَ علىَّ فَتُريحَنِى .. وإذا أنْتَ أضْجَعْتَنِى لِتَذْبَحَنِى ، فكُبَّنى لِوَجْهِى عَلَى جَبِينى ، ولا تُضْجِعْنى لِشِقِّى ، فإنِّى أَخْشَى إنْ أَنْتَ نَظَرْتَ فِى وَجْهِى أنْ تُدْرِكَكَ رِقَّةٌ تَحُولُ بَيْنَكَ وبَيْنَ تَنْفيذِ أمْرِ اللهِ فِىَّ ..

فقالَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ نِعْمَ الْعَوْنُ أنْتَ يا بُنَىَّ على أمْرِ الله ..

ثم ربَطَ ابْنَهُ إسْماعيلَ ، كما أمَرَهُ فأوْثَقَهُ ، ثُمَّ حَدَّ سِكِّينَهُ ، وأرْقَدَ إسْماعيلَ جاعِلًا وَجْهَهُ ناحِيَةَ الأرْضِ ..



وهَوَى إبْراهيمُ بالسِّكِّينِ على عُنُقِ إسْماعيلَ لِيذْبَحهُ ، وفى تِلْك اللَّحْظَةِ نادَى الله تعالَى إبْراهيمَ قائلًا :

﴿ ... يا إِبْراهيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذَلك نَجْزِى الْمُحْسِنين * إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴾ .

أخْبَرَ الله تعالَى نبِيَّهُ إبْراهيمَ أنَّ هذا الَّذى فعَلَهُ هوَ ووَلَدُهُ يكْفِى لِتَصْدِيقِ الرُّؤيا التى رآها إبْراهيمُ فى مَنَامِهِ .. وأنَّهُ يَجبُ أنْ يَتوَقَّفَ عنْ ذَبْحِ ابْنِهِ ..

ورَأى إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجوارِه كَبْشًا أَبْيَضَ عَظيمًا ، ذا قرْنَيْنِ كبيرَيْنِ ، أمَرهُ الله تعالى أنْ يذْبَحَهُ فِداءً لِوَلدِه .. افْتَدَى الله إسْماعيلَ بالْكَبْشِ ، فذَبحَهُ ..

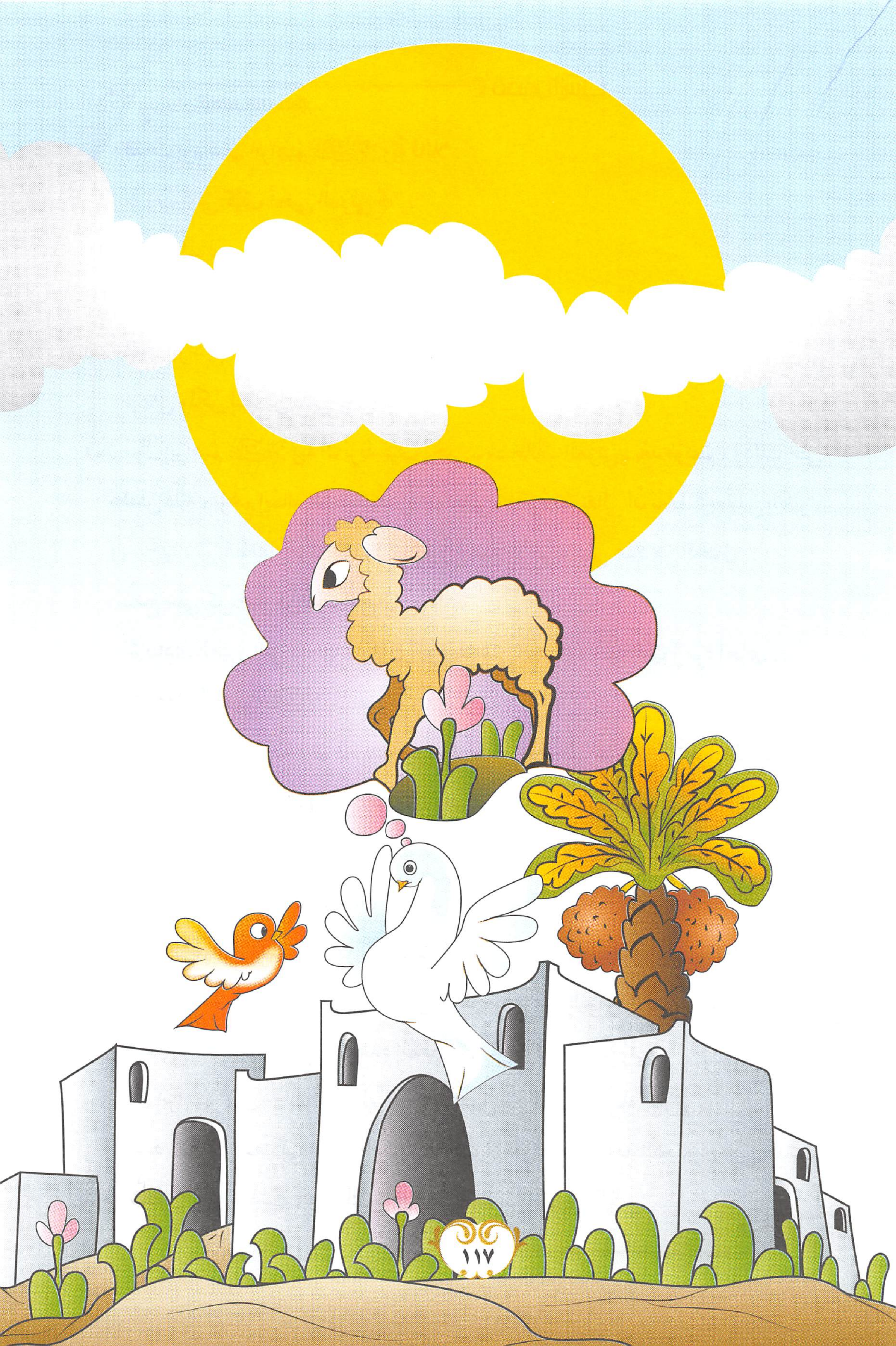
وانْتَهَى ابْتِلاءُ اللهِ تعالَى لإبْراهِيمَ وإسْماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ونجحَ الاثْنانِ ، وفازَا فَوْزًا عظيمًا ..

وهذا يدُل على عَقِيدَةٍ قوِيَّةٍ ، وإيمانٍ صادقٍ ، حتى عِنْدَ الشَّدَائِدِ ..

وقدْ صارَ هذا الْيَوْمُ الذى افْتَدَى فيه الله تعالَى نَبِيَّهُ إسْماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يوْمَ عِيدٍ لِلْمُسْلِمينَ .. هذا الْعِيدُ ، هوَ عِيدُ الأَضْحَى الْمُبارَكُ ، الذى تُذْبَحُ فِيه الأُضْحِيَةُ ، إحْياءً لِهذه الذِّكْرَى الْعظيمةِ .. ذِكْرَى التَّضْحِيَةِ والْفِداءِ والصَّبْرِ والطَّاعةِ للهِ تعالَى ..

بعدَ هذه الْحَادِثةِ مضَى نبىُّ اللهِ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَشْرِ دَعْوَةِ اللهِ فى الأَرْضِ ..

وبِرَغْم أنَّ نَبِيَّ الله إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ أطْهرَ النَّاسِ قَلْبًا ، وأكْثرَهُمْ إيمانًا باللهِ وثِقةً فى قُدْرتهِ ، ويَقِينًا بأنَّ الله وَحْدَهُ ، هوَ القَادِرُ على إمَاتَةِ الأحْياءِ ، وعلى إحياءِ الْمَوْتَى ، وبَعْثِهِمْ يَوْمَ القِيامةِ ، برَغْمِ كُلِّ ذلك ، فإنَّ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قدْ أرادَ أنْ يَزْدادَ ثِقَةً واطْمِئنانًا إلَى قُدْرةِ الله تعالَى .. أرادَ إبْراهيمُ أنْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ ..



فذاتَ يوْم سألَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ قائلًا :

﴿ رَبِّ أرِنِى كيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ..

فسَألَهُ الْمَوْلَى ـ سُبْحانَهُ ـ قائلاً :

﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ ؟

فقالَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿ بَلى ولكِنْ لِيَطْمَئنَّ قَلْبى ﴾ .

سألَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ أن يُريَهُ كيْفَ يُحْيِي ـ سُبْحانهُ ـ الْمَوْتَى ، بعْدَ مَوْتِهِمْ ، وذَلك حتَّى يطمئِنَّ قلْبُه ، برَغْمِ إيمَانِه الشَّدِيدِ بقُدرَةِ اللهِ تعالَى ، فأمَرَهُ اللهُ تعالَى أنْ يَأْخُذَ أرْبَعَةً مِنَ الطَّيْر ، ويذْبحَها ، ثمَّ يُقطِّعَها أجْزاء صغيرةً ، ثمَّ يُوزِّعَ هذه الأجزاءَ على عَدَد مِنَ الجِبَالِ ..

يَضعُ على كُلِّ جَبَلٍ مِنْ هذه الْجِبالِ جُزْءًا ..

ثُمَّ ينادِى الطُّيُورَ الَّتى ذبحها ، وفرَّقَ أجْزاءَهَا على الْجِبالِ ، تَأْتِيهِ الطُّيُورُ مَرَّةً أُخْرَى ..

وقدْ فَعلَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أمرَهُ به ربُّهُ سُبْحانهُ ..

أحْضَرَ أرْبَعَةَ طُيُورٍ حيَّة ، ثمَّ قامَ بذَبْحِها ، وقطَّعَ كُلَّ طائِرٍ إلَى عَدَدٍ مِنَ الأجْزاءِ الصَّغِيرَةِ ..

ثمَّ خلَطَ أجْزاءَ الطيُورِ كُلَّها معَ بعْضِها ، بحيْثُ لمْ يعُدْ يسْتطِيعُ تَمْييزَ أجْزاءِ أيِّ طائرٍ عنِ الأجزاءِ الأُخْرَى ..

ثمَّ أخذَ أجْزاءَ الطُّيورِ الْمُخْتلِطَةَ ، وقامَ بتوزيعِها على قِمَمِ الْجِبالِ ..

ثمَّ وقفَ بَعيدًا ، ونادَى الطُّيُورَ ، فأخذَتِ الأجْزاءُ تتجمَّعُ إلَى بَعْضِهَا بأمْرِ اللهِ تعالَى ..

ورأى إبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الطُّيُورَ الأرْبَعَةَ وهىَ تتجمَّعُ وتَطِيرُ إلَيهِ مرَّةً أُخرَى .. فشكرَ إبْراهيمُ ربَّهُ تعالَى الذِى أجْرَى على يَدَيْهِ هذهِ الْمُعْجزَةَ .. مُعْجزَةَ إحْياءِ الْمَوْتَى ..

رأى إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُدْرَةَ الإلَهيَّة ، وهى تعْملُ فى الْبَعْثِ وإحْياءِ الْمَوْتَى ..

وهذه الْقِصَّةُ وردَتْ فِى الْقُرآنِ الْكَرِيم ، لَكِنَّنا لا نَعْرِفُ على وجْهِ التَّحديدِ ، متَى حَدَثت بالضَّبْطِ .. وأيْنَ حدَثَتْ ، وفى أىِّ مَرْحَلةٍ مِنْ حَياةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..



البشارة بإسحاق

كانَ نَبىُّ الله إبْراهيمُ عليه السلام أكْرَمَ الناسِ على وجْه الأرْضِ .. وقدْ وَسَّعَ اللهُ ـ تعالى ـ علَيْهِ فى الرِّزْقِ ؛ فكانَ أوَّلَ من أضافَ الضَّيْفَ ..

وكان عليه السلام أكْثَرَ النَّاسِ حُبًّا للضَّيْفِ ، وإكرامًا لهُ .. وكان يَذْبحُ لِلضَّيْفِ أسْمَنَ ما عِنْدَهُ مِنَ الْماشِيَةِ ، أو الْغَنَمِ ، ويَقُومُ على خِدْمَةِ الضَّيْفِ بِنفْسه ..

وذاتَ يَوْمٍ كانَ إبْراهيمُ عليه السلام جالسًا أَمامَ بابِ بَيْتِهِ ، فرأى ثلاثَةً مِنَ الرِّجالِ فى غايَةِ الوَسَامَةِ والْجَمَالِ ، علَيْهِمْ ثِيابٌ بَيْضاءُ فى غايَةِ الأناقَةِ ، يَدْخُلوُنَ الْقَرْيَةَ ؛ ويتَّجهونَ إِلَيْه .. ثمَّ يُلْقُون إلَيْه بالسَّلامِ ..

ردَّ إبراهيمُ عليْهِمُ التَّحِيَّةَ ، ونظَرَ فى وجُوهِهِمْ ، فلَم يَتَعَرَّفْهُمْ .. فعَرفَ أنَّهُمْ غُرباءُ عَنِ الْقَريَةِ ..

ولَمَّا كانَ مِنْ عادَةِ إبْراهيمَ عليه السلام إكْرَامُ الضَّيْفِ فقَدْ نهضَ مُرَحِّبًا بهِمْ ، ودعَاهُمْ إلى بَيْته ، ثُمَّ أدْخَلَهُمْ وأَجْلَسَهُمْ فى مكانِ اسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ ..

ثم اسْتَأْذَنَ مِنهُمْ وتوَجَّه إلى داخِلِ الدَّارِ ، حيْثُ تُوجَدُ زَوْجَتُه السَّيِّدةُ سَارَّةُ ، وكانتْ سَارَّةُ قدْ صارَتْ عَجُوزًا وابْيَضَّ شَعْرُها ، فقالَ لها :

إنَّ لدَيْهِم ضُيُوفًا غُرباءَ ، وربَّما قدِمُوا منْ سَفرٍ بَعيدٍ ..

فَهِمَتِ السَّيِّدةُ سَارَّةُ أنَّه يَجبُ إعْدادُ طَعامٍ للضُّيُوفِ ، فَقالتْ لإبْراهيمَ :

ـ اذْهَبْ أَنْتَ لِتُجالِسَ ضُيُوفَكَ ، وسَأُعِدُّ أنا والْخَدَمُ لكُمُ الطَّعامَ ..

لكنَّ نَبيَّ اللهِ إبْراهيمُ قالَ لها إنَّهُ سوْف يُعِدُّ لَهُمُ الطَّعامَ بِنَفْسِهِ ، زِيادَةً فى إكْرَامِهِمْ ، والحَفاوَةِ بهِمْ ..





فهذه عادَتُهُ دائمًا مع الضُّيُوفِ ..

شَمَّرَ نبيُّ اللهِ إبْراهيمُ عليه السلام عَنْ ساعِدَيْهِ ، وَبمُساعَدَةِ زوْجَتِه سارَّة وبعْضِ الْخَدَم ، أمْسَك عِجْلاً سَمينًا مِنْ أفضلِ العُجُولِ لَدَيْه ، فذبَحهُ ، ذاكرًا عليْه اسْمَ اللهِ ..

ثم سَلَخَهُ ، وأخْرج مِنه الأحْشاءَ ، وبعْدَ أنْ نظَّفَهُ جيِّدًا ، أوْقَد نارًا هائِلةً وشَوَاهُ عليها .. ثمَّ حَمَلَ الطَّعامَ ، ووضَعهُ أمامَ ضُيُوفِهِ ، وبدَأ يأْكُلُ ذاكرًا اسْمَ اللهِ ، ودَاعيًا الضُّيوفَ لِلأَكْلِ ..

لكنَّ إبْراهيمَ عليه السلام لاحَظَ أنَّ الضُّيُوفَ لا يَمُدُّونَ أيْدِيَهُمْ إلى الأَكْلِ لِيأْكُلوُا ، فنظرَ إليْهِم إبْراهيمُ ، مُتَوَجِّسًا مِنْهُمْ خِيفَةً .. فمَعْنَى امْتِناعِ الضُّيُوفِ عَنْ تناوُلِ الطَّعامِ أنَّهُمْ ربَّما كانُوا غاضِبينَ مِنْهُ ، أو أنَّهُمْ جاءُوا يَقْصِدُونَ به شَرًّا ..

ولكنْ أىُّ ذنْبٍ جَناهُ إبْراهيمُ حتَّى يَقْصِدَ بِهِ هؤلاءِ الْغُرباءُ شرًّا ؟!

هكذا تساءَلَ إبْراهيمُ فى نَفْسِهِ ..

وبَدأ إبْراهيمُ عليه السلام يسْترْجِعُ فى خَيالِهِ لَحْظَةَ قُدُومِ الغُرباءِ عليْه .. فتذكَّرَ أنَّهُمْ ظَهرُوا أمامَهُ فَجْأةً ، وأنَّهُم جاءُوا مِنْ سَفَرٍ ، وليْسَ عليْهِمْ أىُّ أثَرٍ مِنْ غُبارِ السَّفرِ أوِ الإجْهادِ .. كما لاحَظَ أنَّهمْ لَمْ تكُنْ مَعَهُمْ دَوَابُّ تحمِلُهُمْ ، أوْ أىُّ أدواتٍ مِنَ الَّتى يَحملُها الْمُسَافِرُ ، والتى لا غِنَىً لَهُ عَنْها فى سَفرِهِ ..

وهَكذَا تعجَّبَ إبراهيمُ فى نفْسِهِ .. ثمَّ سألهُمْ قائلًا :

ـ لقدْ دعَوْتُكُمْ إلى الطَّعامِ ، فلِماذا لا تأْكُلُونَ ؟!

فردَّ الرِّجالُ قائلين :

ـ نحْنُ مَلائِكَةٌ يا إبْراهيمُ ، والْمَلائكَةُ لا تأْكُلُ ..

لَمْ نأتِ لِنَقْصِدَكَ بِسُوءٍ ، لكنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أرْسَلنا إلى قوْمِ لوطٍ ..





وكانتِ السَّيِّدةُ سَارَّة تَقِفُ قَرِيبًا مِنهمْ فضحِكَتْ ..

فالْتَفتَ إِلَيْها الْمَلائِكَة ، وَبَشَّرُوهَا بإسْحاق ..

﴿ وَامْرَأَتُه قَائِمةٌ فَضحِكَتْ فَبَشَّرْناهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقوب ﴾ .

أىْ أَنَّ الله ـ تعالى ـ يُبَشِّرُها بأنَّها سوْفَ تضَعُ غُلامًا ، وسَوفَ يكونُ اسْمُهُ « إسْحَاقَ » .

فتعَجَّبتِ السَّيِّدةُ سَارَّةُ وقالتْ :

ـ كيْفَ ألِدُ وأنا عاقِرٌ لا أُنْجِبُ ، وقدْ صِرْتُ عَجُوزًا .. وهذا زَوْجى أيْضاً قدْ صار شَيْخًا كبيرًا ؟!

فَردَّتْ علَيْها الْملائكةُ قائلينَ :

﴿ أتَعْجَبِينَ مِنْ أمْرِ الله رَحْمةُ الله وبركاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّها سَتعيشُ حتَّى تَشْهَد وِلادَةَ ابْنٍ لإسْحاقَ ، وسوْفَ يكونُ اسْمه « يَعْقُوب » ..

فرِحَتِ السَّيِّدةُ سَارَّةُ بهذهِ الْبُشْرَى مِنَ الْمَلائِكَةِ ، وزَايَلَ إبْراهيمَ الْخوْفُ مِنَ الْمَلائِكةِ ، لكِنَّهُ تَساءَلَ قائِلاً :

﴿ أبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُون ﴾ ؟

فأكَّد لهُ الْمَلائكةُ أنَّهم بشَّرُوهُ بالحَقِّ ، وطَلَبوا مِنْهُ ألَّا يَكُونَ مِنَ الْقَانِطِين اليائِسِينَ ..

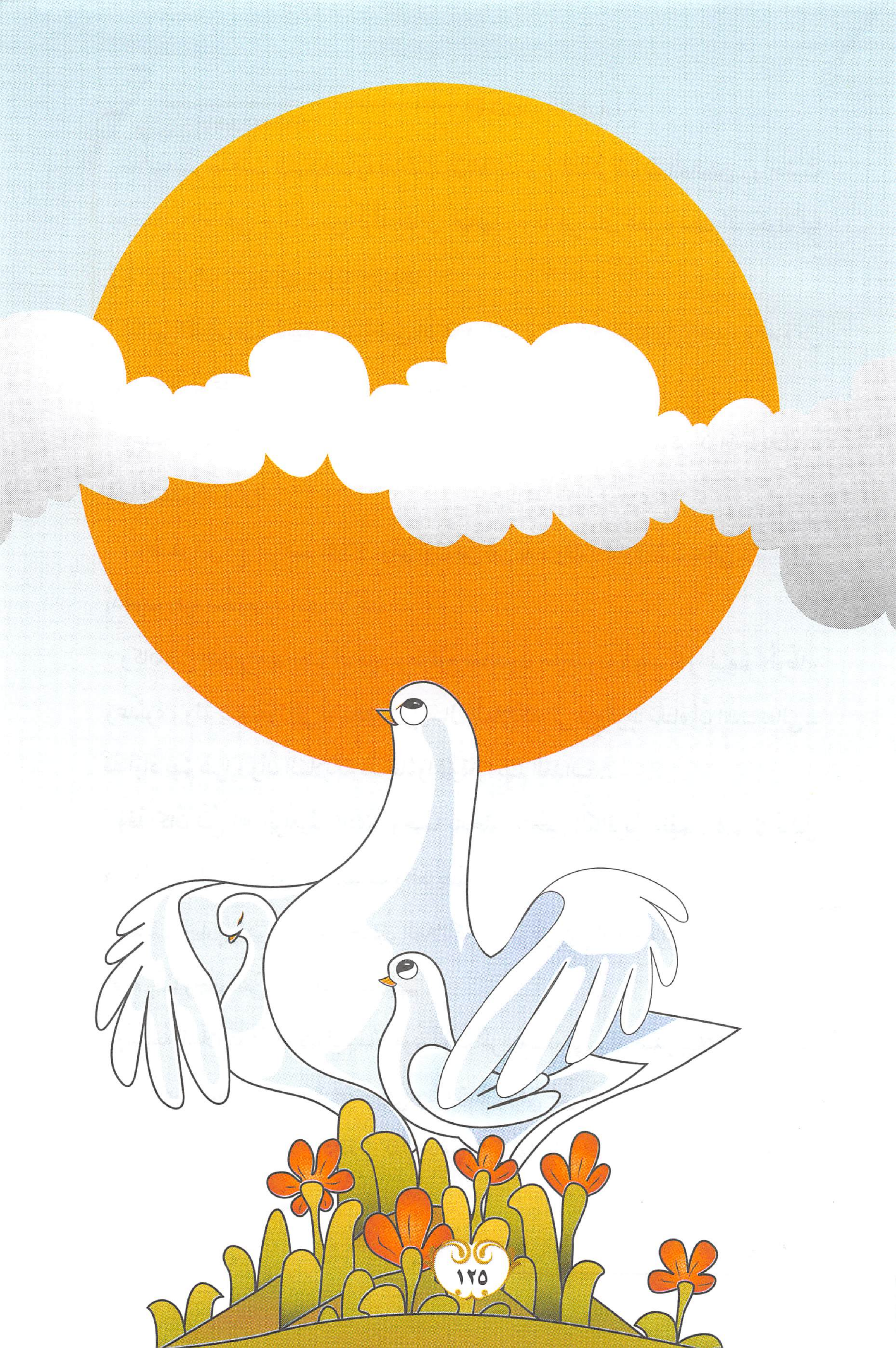
فقالَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى ثِقَةِ الْوَاثِقِ منْ رحْمَةِ الله :

﴿ ومَنْ يَقْنطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلا الضَّالُّونَ ﴾ .

أفْهَمَهُمْ إبْراهيمُ أنَّهُ ليْسَ يائسًا مِنْ رَحْمةِ الله ..







مَلأتِ الفَرْحَةُ قلْبَ السَّيِّدة سَارَّةَ ففاضَتْ عَيْناها بدُمُوعِ الشُّكْرِ لله رَبِّ الْعالَمينَ ، وأحَسَّتْ إحْسَاسَ الأمِّ التى حُرِمَتْ مِنَ الْوَلَدِ طُوَالَ حَيَاتِهَا ؛ وها هِى ذى على وَشَكِ أنْ يكُونَ لها وَلَدٌ ، وسَوْفَ تشْهَدُ أيْضًا مَوْلِدَ حَفِيدِها ..

أمَّا نَبِىُّ الله إبْراهيمُ عليه السلام فقَدْ أَحَسَّ أنَّ هذه الْبُشْرَى هى تكْرِيمٌ لَهُ ولِزَوْجَتِه ، وإنْعَامٌ مِنَ الله ـ تعالىَ ـ علَيْهما فى شَيْخُوخَتِهِما ، ولِذلكَ خرَّ لله سَاجِدًا ..

وعِنْدَما سكَنَ قَلْبُ إبْراهيمُ عليه السلام واطْمَأنَّ ، نظَرَ إلى الْمَلائِكةِ ، فتذكَّرَ أنَّ الله ـ تعالَى ـ قَدْ أرْسَلَهُمْ لِقَوْمِ لُوطٍ ..

ولُوطٌ هُوَ ابْنُ أَخِ إبْراهيم عليه السلام وهُوَ أوَّلُ مَنْ آمَنَ به ، وقَدِ اخْتارهُ الله ـ تعالى ـ نَبِيًّا لِقَوْمٍ يُدْعَوْن «قومَ سَدُوم» بوادى الأُرْدُنِ ..

وكانَ نبىُّ الله إبراهيمُ يعْلَمُ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ قَوْمٌ مُعَانِدونَ جَاحِدُون ، وقَدْ آذَوْا نبِيَّهُمْ «لُوطًا» وعذَّبُوهُ ، ولمْ يسْتَمِعُوا إلى نُصْحِهِ .. وإرْسَالُ الْملائكَةِ إلى قَوْمِ لُوطٍ مَعْناهُ أنَّ الله ـ تعالى ـ قَدْ أرَادَ بهِمْ شَرًّا ؛ وأنَّ الْمَلائِكَةَ قَدْ جاءُوا لِيُوقِعُوا بِهِمُ الْعَذابَ ..

وقَدْ كانَ نبىُّ الله إبْراهيمُ عليه السلام رَحِيمًا بالْخَلقِ ، حتَّى الْكافِرِينَ مِنْهُمْ ، فهوَ لا يُطِيقُ هَلاكَهُمْ ، ولاَ يُطِيقُ أنْ يرَى الْعذابَ وَاقِعًا بِهِمْ ..

ولِذلكَ أخَذَ إبْراهيمُ عليه السلام يُجادِلُ الملائِكَةَ بِخُصُوصِ قومِ لُوطٍ ؛ وقالَ لهمْ : إنَّ هَؤُلاءِ الْقومَ ربَّما رَجَعُوا عَنْ فُجُورِهِمْ وضَلالِهِمْ ..

وأَفْهَمَهُ الْمَلائِكَةُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ،وأَنَّ أمرَ الله ـ تعالى ـ قَدْ صَدَرَ بِهَلاكِهِمْ جزاءَ ما ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَعَاصِى فى حَقِّ الله ، وفى حقِّ نَبِيِّهِمْ ، وفى حَقِّ النَّاسِ وفى حَقِّ أَنْفُسِهِمْ ..

وإذَا صَدرَ أَمْرُ الله ، فلا رَادَّ لَهُ .. لَقدْ جَاءُوا لِيُرْسِلُوا على هؤلاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ حِجارَةً مُسَوَّمَةً تُهْلِكُهُمْ بِذُنوبِهِمْ ..



حَزِنَ نبىُّ الله إبْراهيمُ عليه السلام مِنْ أَجْلِ الْمَصيرِ التَّعِسِ ، الذى يَنْتَظِرُ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ التُّعَسَاء ، وحَزِنَ أكْثَرَ مِنْ أَجْلِ الْمؤْمِنِينَ مِنْ قومِ لُوطٍ ، فَسأَلَ الْمَلائِكَةَ قائِلًا :

ـ هلْ سَتُهْلِكُونَ قَرْيَةً ، وفيهَا لُوطٌ وعَدَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؟!

فأجابَهُ الْملائكَةُ قائلينَ :

ـ نَحْنُ أَعْلَمُ بمَنْ فِيها .. لَقَدْ قُضِىَ الأَمْرُ ، واقْتَضَتْ مَشِيئَةُ اللهِ ـ تعالى ـ إنْفَاذَهُ ، وإهْلاكَ قَوْمِ لُوطٍ ..

ومضَى الْملائكَةُ لِتَنْفِيذَ أمْرِ اللهِ ـ تعالَى ـ فى قَوْمِ لُوطٍ ..

(وهذا الأَمْرُ سَوْفَ نَتعرَّضُ لهُ تَفْصِيلًا فى قِصَّةِ النَّبىِّ لُوطٍ عليه السلام)

وقدْ تحقَّقَتْ بُشْرَى الْمَلائِكَةِ لإبْراهيمَ وزَوْجَتِه سَارَّة ، فَوَضَعَتْ على كِبَرٍ ابْنَهَا إسْحَاقَ ، ويُقالُ : إنَّ عُمْرهَا عِنْدَما وضَعتْ إسْحَاق كانَ تِسْعينَ عَامًا ، وأنَّ عُمْرَ إبْراهيمَ عليه السلام كانَ مِائَةً وعِشْرِينَ عَامًا ..

ويُقالُ : إنَّ سَارَّةَ لَمَّا وضَعَتِ ابنَها أَسْمَتْهُ « يَصْحَقُ » وتَرْجَمَتُها « يَضْحَكُ » وهى تُرِيدُ أنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ بِولَادَةِ هذا الْوَلَدِ مِنَ أبَوَيْهِ فى هذهِ السِّنِّ يَضْحَكُ ، لِما فى ذلِك مِنَ الْغَرَابَةِ ..

وقدْ صارَ إسحاقُ عليه السلام فيما بَعْدُ نَبِيًّا ..

يَقُولُ اللهُ تعالَى :

﴿ ... وبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

كما تَحقَّقَتْ بِشارَةُ الْمَلائِكَةِ لِسَارَّةَ وإبْراهيمَ ، بِيَعقُوبَ ، فَقَدْ تَزوَّجَ إسْحاقُ ، وأنْجَبَ يَعْقُوبَ ..

يَقُولُ اللهُ تعالَى :

﴿ ... وَهَبْنَا لَهُ إسْحاقَ ويَعْقُوبَ وكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ ووَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ .





وقدْ حكَى اللهُ ـ تعالى ـ تَبْشيرَ الْمَلائِكَةِ بإسْحَاقَ فى هذِه الآيات :

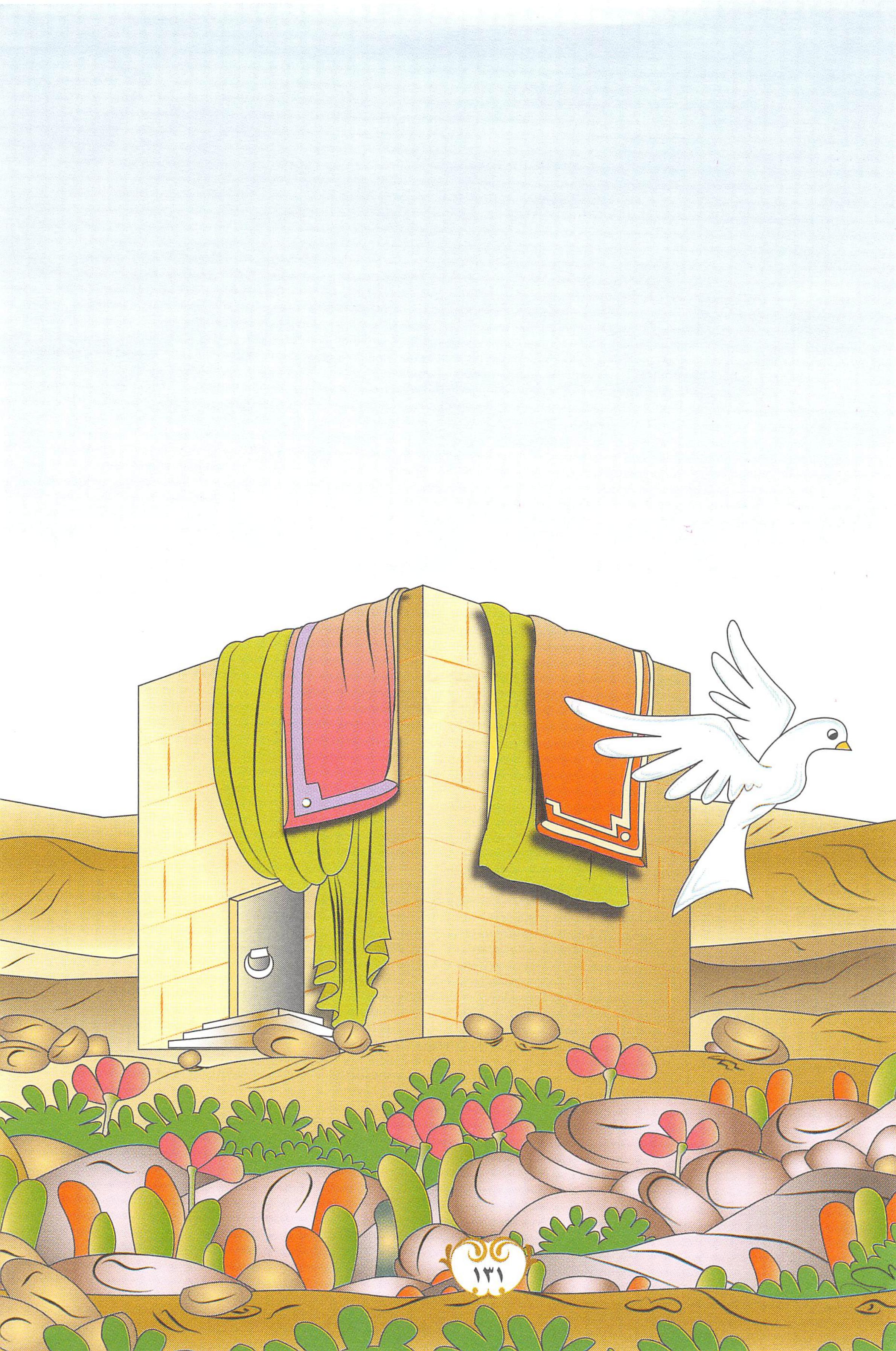
﴿ ولَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنيذٍ ۝ فَلمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إلَيْهِ نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالوا لاتَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلى قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبشَّرْنَاهَا بإسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا إنَّ هَذا لَشْىءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ .

(الآيات من ٦٩ : ٧٣ من سورة هود)

وقدْ عاشَ نبىُّ اللهِ إبْراهيمُ عليه السلام بعْدَ وِلادَةِ إسْحَاقَ عليه السلام يضْرِبُ فى الأرْضِ ، دَاعيًا النَّاسَ إلى عِبادةِ اللهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ ، وناشِرًا دَعْوَةَ اللهِ فِى الأرْضِ ..

تمَّـــتْ





رقم الإيداع : ٢١٦٢
الترقيم الدولى : ٢ ـ ٢٨٩ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧



